منهج الإسلام
فى تغيير المنكر

إعداد

دكتور: أحمد عبدالرحيم السايح

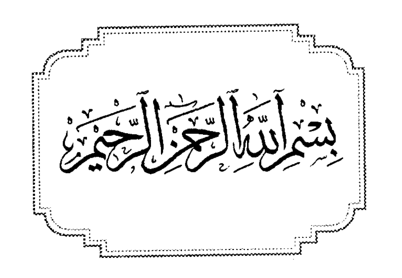
مركز الكتاب للنشر





مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣-٢٩٠٦٢٥٠-فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنعم على المسلمين بنعمة الإيمان وأنزل على الرسول محمد ﷺ القرآن، لإصلاح حال الخلق فى الأرض.

نحمده سبحانه وتعالى أن جعل الإنسان حاملا للأمانة فقال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ..**﴾[1].

ونحمده سبحانه أن جعل الأمة الإسلامية خير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. فقال تعالى فى سورة آل عمران: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..**﴾[2].

والصلاة والسلام على محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين والمبعوث رحمة وهداية للناس أجمعين.. الذى بين للناس طريق الفلاح، وأرشدهم إلى مافيه النجاة، ودعاهم إلى مواجهة الفساد.

وجعل صلوات الله وسلامه عليه النهى عن المنكر، والسعى إلى تغييره شعيرة من شعائر الإسلام. لتقوم المجتمعات على الخير وينشأ الأفراد على الفضيلة.

أما بعد

فإن المنكرات التى تنتشر فى أنحاء كثيرة، تشكل تيارا جارفا يزحف على المجتمعات الإسلامية. فى خبث، ومكر، ودهاء.. ليصرف الناس عن حركة الحياة، ويشغلها بما هو بعيد عنها.

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم (٧٢).

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١١٠).

ولقد عانت المجتمعات من المنكرات الزاحفة، وشغل الناس بها، مما قد يصرف عن المواكبة العلمية، والفهم الصحيح لمبادئ الإسلام.

وقد لايخفى على عاقل.. أن تواجد المنكر على أرض الواقع إهانة بالغة لخير أمة.. كما أن هذا المنكر يفتت الأمة ويضعف من انطلاقها.

وقد يكون معروفا.. أن الأمم تسعد وتشق، وتصح وتمرض وهى بحاجة إلى علاج إذا سقطت فريسة الأوبئة، التى تنتاب النفوس المظلمة التى فقدت مناعتها. فخارت قواها.. ولا توجد مدرسة تتناول بالرعاية والعناية الأفراد والمجتمعات كمدرسة الإيمان.

لأن الإيمان يخط المسار، ويضع المنهاج، ويحول بين الإنسان وبين دواعى الانحراف.. بما يوفر من قيم فعَّالة، تعالج ما قد يبتلى به الإنسان.

والمنهج الإسلامى الذى جاء لعلاج ما قد يطرأ من خروج عن السبيل السوى، ينبثق من تصور تعتمد على أن لهذا الكون إلها، وأنه لا إله غيره، خلق الكون وأوجده.

وهذا الكون يسير بانتظام مذعنا لأمر الله ومشيئته.. والإنسان جزء من هذا الكون، خلقه الله بطبيعة متميزة لعبادته، والانقياد لأمره.

ولامعنى لحياته إلا أن تكون كلها خالصة العبودية لله. فالغايات البعيدة من مجهودات الإنسان، ومساعيه فى الدنيا، هى ابتغاء وجه الله تعالى، ونيل رضاه.

وقد لايخفى على الباحثين والمفكرين، الذين يتأملون المنهج الإسلامى فى تغيير المنكر، أن هذا المنهج بجانب ماله من وسائل يقوم على خصائص أهمها:

١- أنه يجعل ابتغاء وجه الله، ونيل رضاه، غاية منشودة فى عملية تغيير المنكر، وبهذا تكون عملية التغيير مقياسا ساميا للأخلاق، لايقوم معه فى وجه الارتقاء الخلقى شيء يفوقه ويهيئ للأخلاق من خشية الله تعالى، قوة تحث الإنسان على القيام، من غير أن تكون فيها يد لعامل من العوامل الخارجية.

٢ـ إن هذا المنهج يطالب الناس، ويلتمس منهم إقامة نظام للحياة لايشوبه شيء من المنكر، ويدعوهم إلى أن يقيموا الخيرات وأن يشيعوا إقامة هذه الخيرات فى العالم.

٣ـ ومن خصائص المنهج الإسلامى أنه منهج قيم، ففيما يتعلق بالفرد تحاول هذه القيم رفع الإنسان فوق مرتبته الراهنة، وتعمل على العلو به إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسان وتقدمه ورقيه.

وفيما يتعلق بالمجتمع. فإن المنهج يحقق أعظم عامل للربط بين أفراده، والسمو بالمجتمع إلى مرتبة الحضارة.

ومن عجيب هذا المنهج أنه طرق بحكمة مفاتيح النفس الإنسانية لأن النفس الإنسانية مطبوعة على حب الخير، ودفع الشر. فإذا بين الإسلام الخير الذى يحصله الإنسان والناس من وراء الالتزام بالقيم الفاضلة، فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك.

وعندما يبين الإسلام الأضرار والعواقب التى تصيب الفرد والمجتمع من جراء الانغماس فى الرذيلة والمنكر، فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال والأقوال.

وإذا كانت الأمة الإسلامية على أمل أن تخطو إلى مجدٍ مشرق، فإن معرفة المنهج لتغيير المنكر، له دلالات وغايات.

والبحث فى المنهج علامة صحية، وخطوة طيبة فى الطريق. وسوف تزيد هذه المناهج من الوعى الثقافى، الذى يؤهل الإنسان للعطاء.

❋ ❋ ❋

الفصل الأول

المنكر وتغييره

النهى عن المنكر

النهى خلاف الأمر

يقال: نهاه، ينهاه نهيا. فانتهى. وتناهى: كف[1]. .

أنشد سيبويه لزياد بن زيد العذرى:

إذا ما انتهى علمى تناهت عنده

أطال فأملى أو تناهى فأقصرا

وقيل فى المعتل بالألف: نهوته عن الأمر . . بمعنى نهيته . .

وتناهو عن المنكر . . أى نهى بعضهم بعضا.

وقال الفرزدق:

∴ فنهاك عن منكر ونكير ∴

إنما شدد للمبالغة[2].

والمنكر من الأمور خلاف المعروف.

وهو كل ما قبحه الشرع، وحرمه، وكرهه[3].

وقيل المنكر: كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو يقبحه الشرع، أو يحرمه، أو يكرهه[4].

---

(١) انظر: الفيروزابادى - القاموس المحيط (جـ٤ ص ٣٩٨) ط دار الحديث.
(٢) راجع: الجوهرى - الصحاح - مادة نهى.
(٣) راجع: ابن منظور - لسان العرب (جـ٨ ص٤٥٣٩) دار المعارف.
(٤) راجع: مجمع اللغة - المعجم الوسيط (جـ٢ ص ٩٩٠) مادة نهى.

وقيل المنكر: كل محذور الوقوع فى الشرع[1].

ويقول الإمام الطبرى: المنكر: ما أنكره الله، ورآه أهل الإيمان قبيحا فعله.. ولذلك سميت معصية الله منكرا. لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون ركوبها[2].

وقيل المنكر: كل محظور وما استقبحه الشرع والعقل[3].

وقيل المنكر: اسم لكل ما نهى الله عنه فى الشرع.. من قول، أو عمل، أو اعتقاد..

وسبب تسميته تشهد بفساده وتنكره، وترفضه الفطر السليمة، والعقول الرشيدة[4].

والمنكر الشرعى: ما ينكره الشرع، ويستقبحه.

والمنكر العقلى والفطرى: ما تستنكره العقول الراجحة، والفطر السليمة. لمنافاته للفضائل والمنافع الفردية، والمصالح العامة[5].

والمنكر من حيث المعنى.. لافرق بين أن يكون بالقول أو بغيره.

وما كان بالقول.. فلا فرق بين أن يكون بلفظة: «أفعل» نحو: اجتنب.. أو بلفظة: «لا تفعل».

ومن حيث اللفظ.. هو قولهم: «لا تفعل كذا»..

فإذا قيل: لاتفعل كذا.. فنهى من حيث اللفظ.

والمعنى جميعا نحو: ﴿ **وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ** ﴾[6].

وقوله: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ** ﴾[7].

---

(١) راجع: أبو حامد الغزالى ـ إحياء علوم الدين (جـ٣ ص٣٥) دار الفكر ١٣٥٦ بيروت.

(٢) الإمام الطبرى ـ جامع البيان (جـ٤ ص٣٠) دار المعرفة.

(٣) الإمام النسفى ـ محاسن التأويل (جـ١ ص١٧٤) دار النفائس. بيروت.

(٤) عبدالعزيز عبدالستار ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص١٠) المكتب الإسلامى بيروت.

(٥) الشيخ محمد رشيد رضا ـ المنار (جـ١ ص٥٣٣).

(٦) سورة البقرة الآية رقم (٣٥) وسورة الأعراف الآية رقم (١٩).

(٧) سورة النازعات الآية رقم (٤٠).

فإنه لايعنى أن يقول لنفسه: «لا تفعل كذا» بل أراد قمعها عن شهوتها، ودفعها عما نزعت إليه، وهمت به.

وكذا النهى عن المنكر.. يكون تارة باليد، وتارة باللسان، وتارة بالقلب. قال: ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[1].

وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾[2] أى يزجر عن الشر[3].

والنهى عند الأصوليين: هو القول الطالب للترك[4].

وأما ابن الحاجب فقد عرف المنكر بقوله: اقتضاء كف عن فعل، على جهة الاستعلاء[5].

وقيل المنكر: كل ما ينكره الشرع، وينفر منه الطبع، صغيرا كان المنكر أو كبيرا[6].

وقيل المنكر: ما أنكره الشرع وكرهه، ولم يرض به. من قول، أو فعل، أو إقرار، أو وصف[7].

وقد يلاحظ الباحثون فى المنكر: أن عبارات أهل العلم اختلفت فى بيان: حقيقة المنكر.

ولهذا يذهب العلماء المعاصرون: إلى أن المنكر الذى يجب على الأمة تغييره هو ما خالف الشرع كتابا وسنة، مخالفة قاطعة.

وسواء فى هذا. أن تكون المخالفة لما أمر به الشرع إيجابا، أو لما نهى عنه تحريما.

---

(١) سورة هود الآية رقم (٦٢).
(٢) سورة النحل الآية رقم (٩٠).
(٣) راجع: جمال الاسنوى ـ شرح الأسنوى على منهاج الوصول فى علم الأصول (جـ٢ ص٨).
(٤) المصدر السابق (جـ٢ ص٨).
(٥) انظر: ابن الحاجب ـ مختصر المنتهى (ص١٠١) ط كردستان العلمية ١٣٢٦هـ.
(٦) راجع: البيانونى ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٤).
(٧) راجع: ابن حجر الهيتمى ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر (جـ٢ ص١٦٤).

وسواء كانت المخالفة . . تركا بالكلية . لما أمر به الشرع . .

أو زيادة عليه بغير نص . .

أو نقصا منه بغير عذر . .

أو تغييراً فيه .

أو تبديلا فى ذاته ، أو فيما يتعلق به . زمانا ، أو مكانا ، أو كيفية ، أو وسيلة .

فكل مغايرة ذاتية أو عرضية فيما أمر به الشرع ، هى منكر .

ومثل ذلك تماما : المخالفة بالفعل لما نهى عنه ، مخالفة كلية أو غير كلية .

وسواء فى هذا ـ أيضا ـ أن يكون الأمر أو النهى : تصريحا أو تلويحا . تفصيلا أو إجمالا[1] .

والمنكرات فى جملتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- أحدها : ما كان من حقوق الله . .

- والثانى : ما كان من حقوق الآدميين . .

- والثالث : ما كان مشتركا بين الحقين .

فأما النهى عنها فى حقوق الله تعالى . . فعلى ثلاثة أقسام :

أحدها : ما تعلق بالعبادات . .

والثانى : ما تعلق بالمحظورات . .

والثالث : ما تعلق بالمعاملات . .

فأما المتعلق بالعبادات . فكالقاصد مخالفة هيئاتها المشروعة ، والمتعمد تغيير أوصافها المسنونة .

وأما ما يتعلق بالمحظورات . فكل ما حظره الشرع . كشرب الخمر ، والزنا ، وغيره . .

---

(١) انظر الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغير المنكر (ص٦٣- ٦٤) ط كتاب الأمة رقم ٤١ قطر ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

وأما ما يتعلق بالمعاملات. كالبيوع الفاسدة، وما منع الشرع منه، مع تراضى المتعاقدين به. إذا كانا متفقا على حظره.

وأما ما ينكره من حقوق الآدميين المحضة. فمثل أن يتعدى رجل فى حد لجاره، أو فى حريم لداره، أو فى وضع أجذاع على جداره..

وملاحظة أهل الصنائع فى أمانتهم أو خيانتهم، وجودة صناعتهم أو رداءتها، وغيرها من الأمور.

وأما ما ينكر من الحقوق المشتركة بين حقوق الله تعالى، وحقوق الآدميين. فكالمنع من الإشراف على منازل الناس.

وملاحظة القضاء فيما يجب عليهم بين الخصوم. وكذلك أرباب المواشى، والسفن[1].

(1) راجع: الماوردى ـ الأحكام السلطانية (ص٢٤٧ ـ ٢٥٧) بتصرف.

تغيير المنكر

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة فى الأرض. قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].

ولقد فضل الله الإنسان وكرمه. كما وضح ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2].

وهذه الكرامة التى اختص الله بها الإنسان، ذات أبعاد مختلفة، فهى حماية إلهية للإنسان، تنطوى على احترام حريته، وعقله، وفكره، وإرادته.

وهذه الكرامة تعنى فى النهاية: الحرية الحقيقية. وهى تلك الحرية الواعية المسئولة، التى تدرك أهمية تحمّلها أمانة التكليف والمسئولية التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾[3].

وإذا كان الله قد اختص الإنسان بالتكريم، وجعله مكرما ومكلفا ومسئولا.. فإنه من ناحية أخرى، قد خلق له هذا الكون بما فيه، ليمارس فيه نشاطاته المادية، والروحية على السواء..

يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٣٠).
(٢) سورة الإسراء الآية رقم (٧٠).
(٣) سورة الأحزاب الآية رقم (٧٢).
(٤) سورة الجاثية الآية رقم (١٣).

والتفكير الذى تنص عليه الآية هنا أمر جوهرى، لاينبغى أن يغيب عن الأذهان[1].

وإذا كان الله قد سخر للإنسان هذا الكون، فلا يجوز له أن يقف منه موقف اللامبالاة بل ينبغى عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفا إيجابيا[2].

ولايخفى أن الموقف الايجابى راجع إلى أن الإنسان فى المفهوم الإسلامى مخلوق مكرم. . ولأنه لم يخلق عبثا فهو مسئول عن الإصلاح فى الأرض.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى شاء أن يجعل الرسالة الإسلامية خاتمة الرسالات، وتتسم بالعالمية والاستمرارية[3]. فقد كان ضرورة أن تكون هذه الرسالة شاملة أهل الأرض جميعا حتى قيام الساعة.

وأن يكون منهاج هذه الرسالة صالحا لكل زمان ومكان، ومصلحا كل شئون أهل الأرض، فيما يكون له أثر فى حياتهم فى الدنيا والآخرة.

ولما كان من طبيعة أهل الأرض: اقتراف مالا تستقيم عليه حركة الحياة فى هذه الأرض، إن غفلة وخطأ، وإن عمدا وخطيئه. . كان ضرورة أن يكون فى منهاج الرسالة الخاتمة ما به يتحقق لأهل الأرض ما اعوج، وإصلاح ما فسد. على نحو لايتجاوز طاقة من يقوم لهذا التقويم، وذلك الإصلاح[4].

ومما يحسن أن ندركه أن منهج الإسلام فى بناء المسلم عقيدة وسلوكا لايرمى إلى أن يجعله صالحا فى نفسه فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى أن يجعله الصالح المصلح. .

فبه يتحقق الوجود المتمكن للأمة المسلمة. .

وبه ترتقى الأمة من طور الاتصاف بالإسلامية انتسابا، إلى أفق الأمة المسلمة سلوكا ووجودا. .

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى (ص٩) ط مكتبة وهبة القاهرة.
(٢) انظر: الدكتور أحمد السايح فى الغزو الفكرى (ص١١٨) كتاب الأمة رقم ٣٨ قطر ١٤١٤هـ.
(٣) راجع: الدكتور أحمد السايح ـ هذا هو الإسلام (ص١٢٩ ـ ١٥٨) ط دار الثقافة. قطر.
(٤) راجع: الدكتور محمد توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص٣٣).

المسلم الصالح فى نفسه فحسب، به تكون الأمة الإسلامية ولاتقوم به الأمة المسلمة.

فإن الأمة المسلمة أمة صالحة فى نفسها، مصلحة ما حولها.

ومن ثم كانت دعوة الإسلام رامية دائما إلى الصلاح والإصلاح معا.

ولن يكون إصلاح البتة إلا بتحقيق الصلاح الذاتى وتمكنه.

يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

فى تلك الآيات وغيرها يمتزج الصالح بالمصلح. ليشكل كُنْه المسلم الذى به تقوم الأمة المسلمة، التى لاتستقيم حركة الحياة بغير قيادتها وريادتها[3].

عن درة بنت أبى لهب. قالت: قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر. فقال: يارسول الله أى الإسلام خير؟

فقال ﷺ: «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم»[4].

ففى الحديث كما ترى امتزج الصلاح الذاتى «اقرؤهم وأتقاهم» بالإصلاح الجمعى «آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم».

فليس الإقراء حسن التلاوة والحفظ فحسب، بل هو إلى جانب ذلك أيضا حسن فقه مايقرأ، وحسن تطبيقه.

فالأمة المسلمة لايكون المرء فيها صالحا فى نفسه، منصرفا عن غيره، مشتغلا بحاله، بل هو صالح فى نفسه أولا، ومصلح لما حوله ثانيا: إنسانا، وكونا[5].

(١) سورة التوبة الآية رقم (٧١).

(٢) سورة الحج الآية رقم (٤٠، ٤١).

(٣) راجع الدكتور محمود توفيق - فقه تغيير المنكر (ص ٣٥).. بتصرف.

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (جـ٦ ص٤٣٢).

(٥) انظر الدكتور محمود توفيق - فقه تغيير المنكر (ص ٣٦). بتصرف كتاب الأمة رقم (٤١).

وذلك أن الإنسان المسلم بطبيعته يظل فى إطار مسئولية التكليف، والاستخلاف المنوطة به. لايعيش لذاته، ولكنه مسئول عن الاصلاح.

وبمقتضى التكليف والاستخلاف، كان ضرورة أن يسعى الإنسان لإصلاح المجتمع، حيث يترجم إيمانه إلى عمل صالح.

ومن ثم فمرحلة تغيير المنكر تبدأ بتغيير الذات، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[2].

وتغيير النفس المطلوب أو النموذج المنشود.. ليس المقصود به التحلى بالفضائل والأخلاق فقط، بل يكون بالفهم الرشيد أولا، ثم بتمثل خلق الإسلام، وبالسعى الحثيث أيضا لإنجاز ذلك العمل الصالح فى مختلف مجالات الحياة[3].

فحقيقة الأمة المسلمة: أن تعمل على تغيير المنكر حتى تستقيم حركة الحياة.

والرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جعل الحياة فى هذه الأرض كمثل الحياة فى سفينة تمخر عباب البحر، لانجاة لها ولمن فيها، إلا بالصلاح والإصلاح، وتغيير المنكر، والأخذ على أيدى المفسدين.

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها.

فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء، مروا على من فوقهم.

فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا.

فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا.

---

(١) سورة الرعد الآية رقم (١١).

(٢) سورة الأنفال الآية رقم (٥٣).

(٣) نهى هويدى ـ الحضارة الانسانية بين التصور الدينى والنظريات الوضعية (ص٥٣).

وأن يأخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعا»[1].

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ بعد أن أبان علاقة القائمين على حدود الله فى الدين، بالواقعين فيها وبالمداهنين ـ أقام الحجة على كل ذى عقل: أن صلاح المرء فى نفسه غير كاف، بل فريضة عليه أن يكون صالحا، وأن يكون مصلحا ما حوله، قائما بالاحتساب والرقابة الراشدة على ما حوله، فلا يدع أيدى العابثين ممتدة بالشر[2].

فأقام الإنسانية أمام فريضة تغيير المنكر، ومنع أهله منه، والأخذ على أيديهم، أيا كانت نياتهم ومقاصدهم، قياما لاتستطيع الفكاك منه، والتخلى عنه، أو التوقف فيه[3].

ووجود المنكر فى المجتمع الإنسانى أمر طبيعى، لايخلو منه مجتمع فى أى حقبة من حقب الحياة.. ولكن الذى ليس من الطبيعى أن يرى أبناء المجتمع المنكر، فلايسعون إلى تغييره[4].

ولما كان تغيير المنكر أمرا ضروريا، أمر الرسول ﷺ بتغيير المنكر.

والأصل فى التغيير استبدال شىء مرغوب فيه، بشىء مرغوب عنه، فهو ليس تركا وإزالة فحسب، بل يتبعها إقامة غيره مقامه.. وعملية التغيير تقتضى معرفة الكيفية وفقا لهدى الشريعة، وهذا يستوجب معرفة أسباب المنكر المراد تغييره. ومعرفة آثاره العاجلة والآجلة فى الأمة.

ومعرفة ما يحيط بوجود المنكر وانتشاره فى الأمة من ملابسات وما يعين على بقائه أو تجدده، أو إغراء الناس بالانشغال به أو التلبس والتردى فيه أو السكوت على أهله أو إجلالهم أو الخوف من تغييره أو إنكاره[5].

وتقتضى عملية التغيير: معرفة ما يترتب على التغيير من آثار إيجابية أو سلبية، والموازنة بين هذه الآثار.

---

(١) أخرجه البخارى ـ كتاب الشركة ـ هل يقرع فى القسمة والاستهام.
(٢) راجع الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص ٤٥).
(٣، ٤) راجع المصدر السابق (ص٤٥).
(٥) راجع المصدر السابق (ص٧١).

أهمية النهى عن المنكر

المجتمعات الإنسانية فى طبيعتها لاتثبت على حال. وهى دائمة التغير.

وأهم ما فيها من تغير هو أحوال الناس، الذين يتأثرون فى مجموعهم بما يحيط بهم من ظروف مادية أو معنوية. فهم يتأثرون بسعة الحياة وضيقها، وتقلب الأيام فى الحرب والسلم، وسيرة الحكام بالشورى والاستبداد.

كما يتأثرون كذلك بالأفكار التى تنشأ بينهم، أو تنتقل إليهم. وليس تطور المجتمعات إلى الأفضل، والأنفع، والأرفع.. إلا نتيجة الاستفادة من الظروف والأفكار التى تجد وتستحدث.

كما أن ضعف مجتمع وتفككه وتعرضه للانهيار على يد غيره من المجتمعات التى تجاوره، أو تعاصره، هو نتيجة تلك الظروف وعدم القدرة على تغييرها وتركها تضعف من كيان المجتمع، حتى يؤذن بالفساد والانهيار(١).

ومن المعلوم أن الإسلام وضع للمجتمع تشريعا كاملا، فى جميع نواحى حياته المادية والروحية، وأراد لكل مجتمع إنسانى أن ينمو باطراد وثبات فى ظل هذا المنهج الإلهى، ولذلك اهتم الشرع الإسلامى بوضع القواعد التى تكفل التقدم المستمر والدائم للمجتمع الإنسانى مع تغيير البيئات والظروف، وتجدد المصالح، والأعراف، والعادات.

وقد جعل الإسلام هذه القواعد من أصوله التى ينبغى أن يقوم عليها المجتمع، وأن يراعيها، ولا يهمل الأخذ بها.

(١) راجع الدكتور جمال الدين محمود ـ أصول المجتمع الإسلامى (ص١٨٣، ١٨٤) بتصرف ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

ومن أهم هذه القواعد: أن يتوفر فى المجتمع دائما من يقومون على إصلاح أموره فى شئون الدنيا والدين عن طريق «النهى عن المنكر»[1].

وبما أن لفظ «المنكر» يرد فى ستة عشر موضعا فى القرآن الكريم[2] فإن دلالة كثرة المواضع التى ذكر فيها لفظ المنكر فى سياق النهى عن المنكر، تؤكد على قوة هذا الأصل الإسلامى ولزوم قيامه فى المجتمع.

وأنه أصل أصيل دائم، يكفل الحفاظ على التطبيق السليم للمنهج الإلهى الذى بين أيدى المسلمين.

ومتى قام هذا الأصل فى المجتمع، دام الأمل فى أن ينصلح ما يفسد من أموره، فى الدين والدنيا.

ودل على قوة المسلمين فى حفظهم للمنهج الإسلامى، وتصديهم لما يعارضه.

ذلك أن سنة الحياة كما هو معلوم، أن يكون هناك دفع من الناس بعضهم لبعض، وأن يكون هناك نزاع بين الخير والشر.

وأصل النهى عن المنكر، هو الذى يضمن السلامة للمجتمع، لأنه يقف فى مواجهة كل فساد يظهر فيه[3].

إن النهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين.

ولو طوى بساطه، وأهمل علمه، وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وغشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد[4].

---

(١) المصدر السابق (ص١٨٣) بتصرف.

(٢) ورد لفظ «المنكر» فى سورة آل عمران. آيات (١٠٤، ١١٠، ١١٤). وفى سورة المائدة آية رقم (٧٩). وفى سورة الأعراف آية رقم (١٧٥). وفى سورة التوبة آيات (٦٧، ٧١، ١١٢). وفى سورة النمل آية (٩٠). وفى سورة الحج آية (٤١، ٧٢). وفى سورة النور آية (٢١). وفى سورة العنكبوت آية (٢٩، ٤٥). وفى سورة لقمان آية (١٧). وفى سورة المجادلة آية (٢).

(٣) راجع الدكتور جمال الدين محمود ـ أصول المجتمع الإسلامى ص (١٨٧).

(٤) الاستاذ فهمى هويدى ـ الدين والتغيير الاجتماعى ـ كتاب الحضارة الاسلامية (جـ١ ص٢٥) ط لندن.

لقد أفادت نصوص الشريعة.. أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد فى الأرض، ودرء المفاسد عنهم عاجلا وآجلا. وهذه المصالح التى جاءت الشريعة لتحقيقها. هى الضرورات الخمس التى هى: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال..

وهذه الأمور الخمس لاتقوم، ولاتتحقق فى واقع الأمر إلا بأمور.. منها: النهى عن المنكر..

فإن فى النهى عن المنكر: قيام الشرائع، وتحقيق المصالح، والمحافظة عليها(١).

فالنهى عن المنكر سمة المجتمع الخيِّر، والمجتمع الخير هو الذى يسود فيه النهى عن المنكر.

والضرورات الخمس هى التى لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا.. بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد، وفوت حياة، وفى الآخرة فوت النجاة والنعيم(٢).

فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من ناحية الوجود، والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من ناحية الوجود، والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من ناحية الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل أيضا، لكن بواسطة العادات، والجنايات راجعة إلى حفظ الجميع من جانب العدم، والتى يجمعها من جانب العدم: النهى عن المنكر(٣).

ويقول أبو حامد الغزالى: مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم.

فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة.. فهو مصلحة.

وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة(٤).

---

(١) انظر: خالد عثمان السبت ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٥٦ ـ ٥٨).

(٢) راجع: الإمام النووى ـ شرح صحيح مسلم (جـ٢ ص٢٤).

(٣) راجع: الشاطبى ـ الموافقات (جـ٢ ص٨ ـ ٩).

(٤) راجع: أبو حامد الغزالى ـ المستصفى (جـ١ ص٢٨٧).

وهذه الأصول الخمسة. حفظها واقع فى رتبة الضرورات فهى أقوى المراتب فى المصالح.

والإنسان المصلح هو الذى يصلح من نفسه، ويظل مسئولا عن إصلاح ما حوله.

ولأنه مخلوق مسئول بالضرورة، فإنه مطالب بإصلاح كل عوج يراه.

والإنسان المسلم مطالب بمقتضى التكليف الإلهى، أن يظل مستنفراً دائما للإصلاح والتقويم.

لأن الإنسان لايستطيع أن يغلق على نفسه داره، ويدير ظهره لمن حوله، قانعا بهمه، ومنسحبا من المحيط الذى يعيش فيه. إن موقف الإنسان المؤمن بالله مفتاحه التكليف الشرعى الذى يدعو إلى النهى عن المنكر لتستقيم حركة الحياة.

فمن أهم الواجبات التى تصان بها المجتمعات، حتى لاينتشر فيها الفساد، ويستشرى الشر: ركن النهى عن المنكر. . أنه أول مسئولية.

والمسلمون إذا كانوا على مستوى إسلامهم، كانت عين كل فرد فى المجتمع رقيبة على ما يحدث فى الصفوف من خلل، وفى الأفراد من فساد، أو انحراف ومخالفة لأوامر الله ونواهيه، ولسان كل فرد فيهم ناصح أمين، ناه عن المنكر. وهم جميعا متآزرون متعاونون على رفع المنكر ودفعه، وإزالة الشر وأسبابه.

ولقد سبق أن جعل الله بنى إسرائيل مفضلين على العالمين أيام حملهم شرائع الله ورسالاته.

إذ كانت غالبية الشعوب وثنية، كافرة بالله وبأنعمه عليها، ثم دخل على بنى إسرائيل وأجيالهم المتتابعة: النقص فى الدين والدنيا، وانتشر فيهم الفساد، واستشرى فيهم الشر، حتى أصابتهم لعنة الله والمرسلين.

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: ياهذا اتق الله. ودع ما تصنع فإنه لايحل لك.

ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله، وشريبه، وقعيده.

فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض».

ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[(١)].

ثم قال: «كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرونه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم»[(٢)].

والحديث ـ كما ترى ـ جاء مقسما على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: عرض تاريخي لأمة كانت ذات شأن فى تاريخ الشرائع السماوية.

والمرحلة الثانية: آيات من القرآن الكريم تتحدث عن الواقع التاريخي.

والمرحلة الثالثة: الانتقال إلى ما يجب على المسلمين أن يفعلوه، مستفيدين من العبرة التاريخية.

ففى المرحلة الأولى يبين الرسول ﷺ أن مبادئ النقص الذى أصاب بنى إسرائيل فى أمور دينهم، وأمور دنياهم. قد كان بتركهم أمورا، منها فريضة النهى عن المنكر.

وكانوا فى البداية إذا وجدوا من يفعل المنكر والمعصية وعظوه ونصحوه.

فإذا لم يتعظ، ولم يرتدع عن إثمه.. تهاونوا فى أمره، وأغضوا عنه، واستمروا على حالهم.

---

(١) سورة المائدة الآية رقم (٧٨ ـ ٨١).

(٢) الحديث: رواه أبو داود والترمذى. وقال: حديث حسن.

وهذا بالطبع يؤدى فى المجتمعات الإنسانية إلى انتشار المعاصى والرذائل، حتى تكون أمرا مألوفا.

وفى المرحلة الثانية تبين الآيات ما أصاب بنى إسرائيل من السيئات التى تتابعت، حتى استحق الذين كفروا منهم اللعن من الله، لأنهم كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه.

وفى المرحلة الثالثة نرى الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوجه المسلمون إلى الاستفادة من العبرة فيحمل المسلمين المسئولية فى صيانة المجتمع من الانحراف، والعمل على عطف كل منحرف، حتى لايخرج المجتمع عن دائرة الاستقامة[1].

والله تبارك وتعالى جعل النهى عن المنكر من أخص صفات من اصطفاه لتبليغ الإسلام إلى الناس. فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

فقد عد هذا الوصف العملى «النهى عن المنكر» من أوصافه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وإذا عرفنا أن النهى عن المنكر مدار رسالة الرسل، أدركنا قيمة الوصف العملى «النهى عن المنكر» الذى اتصف به خاتم الأنبياء والمرسلين.

وهذا الوصف العملى جعله الله من أخص أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[4].

---

(١) راجع: الشيخ عبدالرحمن حبنكه وآخرين ـ الثقافة الإسلامية (جـ٢ ص٢٩١ ـ ٣٠١) ط جامعة أم القرى.
(٢) سورة الأعراف الآية رقم (١٥٧).
(٣) سورة التوبة الآية رقم (٧١).
(٤) سورة آل عمران الآية رقم (١١٠).

فالنهى عن المنكر مزية لهذه الأمة الإسلامية المسلمة على غيرها من الأمم.

فإن الأمم السابقة وإن كانت مطالبة بالنهى عن المنكر، إلا أن النهى لم يمكن تحققه فى الأمم السابقة كتحققه فى هذه الأمة، فاستحقت هذه التفضيل به عن غيرها من سائر الأمم[1].

وقال تعالى مبرزًا أشرف أوصاف المؤمنين: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ..**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾[3].

وإذا كان هذا وصف الله لعباده المؤمنين، فإن الوصف المضاد من أخص أوصاف أضداد المؤمنين فى المنهج والمعتقد.

قال تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾[4].

فالناس محتاجون فى كل زمان ومكان إلى من ينبههم، ويذكرهم، ويوجههم.

ولاننسى أن نذكر: أن القائمين على هذا العمل الإصلاحى مفلحون.

قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[5].

* * *

---

(١) انظر: خالد السبت ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٤٧).
(٢) سورة التوبة الآية رقم (١١٢).
(٣) سورة الحج الآية رقم (٤١).
(٤) سورة التوبة الآية رقم (٦٧).
(٥) سورة آل عمران الآية رقم (١٠٤).

ظهور المنكر

المجتمع الإسلامى يقوم على الطهر، والنزاهة، والفضيلة، وما يطرأ على المجتمع من انحراف ومنكر ونحوهما. فهو أمر طارئ عليه، خارج عن أصالته، وواقعيته.

فكل مُنْكرٍ يحتاج إلى التأكد من دخول المُنْكَر، دون تجسس أو ظن لأن للبيوت حرمة لايجوز انتهاكها.

وليس للمنكر أن ينكر بمجرد الوهم والظن المرجوح، بل لابد من وجود العلم بوقوع المنكر، وما فى حكمه أو حصوله غلبة الظن مع وجود الإمارات المرجحة للوقوع.

كما لايجوز للمنكر أن يتتبع أخبار الناس، وينقب عن عوراتهم التى لم تظهر.

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾**[١].

قال مجاهد: خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله[٢].

وقال القرطبى: ومعنى الآية: خذوا ما ظهر، ولاتتبعوا عورات المسلمين. أى لايبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله[٣].

وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ «لا تحاسدوا ولاتباغضوا ولاتحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا»[٤].

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم (١٢).

(٢) انظر تفسير مجاهد (جـ٢ ص ٦٠٨).

(٣) راجع الإمام القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن (جـ٨ ص٣٣٣).

(٤) رواه الإمام مسلم بشرح النووى ـ باب تحريم الظن والتجسس والتنافس (جـ١٦ ص١١٨).

فالإسلام قد شمل جميع جوانب الحياة، وأعطى كل جانب منها حقه. وضمن للإنسان أن يعيش فى المجتمع آمنا مطمئنا محترما، طالما أنه يسلك الطريق السوى.

ومن الأمور التى شرعها الإسلام لاحترام الإنسان وأمنه: النهى عن التجسس عليه. فلا يجوز لأحد أن يدخل عليه بيته إلا بإذنه[١].

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[٢].

وروى الإمام أحمد عن النبى ﷺ قال: «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه.. لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم. فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته. ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته»[٣].

وعن معاوية رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أوكدت تفسدهم»[٤].

فتتبع العورات والتجسس يفسد الناس. وذلك أنه ينزع الثقة فيما بينهم، وينشر ظن السوء.

مما يجعل المتجسس عليه إذا علم بذلك أن يحمل حقدا وكراهية لمن قام بالتجسس، وهنا تنقطع الأواصر، ويفسد الناس.

يقول ابن الجوزى: من تستر بالمعصية فى داره، وأغلق بابه، لم يجز أن يتجسس عليه[٥].

فالإسلام الحنيف لم يقر التجسس فى إنكار المنكر، ولايجوز أن ينكر ما ستر.

لأن من ينكر عن طريق التجسس وتتبع العورات، يكون قد انتهك عدة حقوق أساسية ثابتة شرعا لمن تجسس عليه:

---

(١) انظر الدكتور عبدالعزيز أحمد مسعود ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (جـ١ ص٢١٦).
(٢) سورة النور الآية رقم (٢٧).
(٣) رواه أحمد فى المسند.
(٤) رواه أبو داود عن معاوية حديث رقم (٤٨٨٨).
(٥) راجع: محمد السفارينى ـ غذاء الألباب (جـ١ ص٢٦٠ ـ ٢٦٧) ط الكويت ١٣٩٣هـ.

- حقه فى حرمته فى مسكنه.

- وحقه فى حرية شخصه باطلاعه على سره.

هذا من جهة. ومن جهة أخرى يكون المتجسس قد استباح وسيلة محرمة للوصول إلى غاية.

وسواء كانت هذه الغاية محرمة أم مباحة. فإن ذلك محظور.

لأنها إن كانت محرمة فالوسيلة إليها محرمة.

وأما إذا كانت الغاية مشروعة، فلايصح أن يسعى إليها بوسيلة محرمة، لأن الغاية تأخذ حكم الوسيلة[١].

ويقول التميمى فى ذكر اعتقاد الإمام أحمد: وكان - أى الإمام أحمد - يذهب إلى أنه لايجوز كشف منكر قد استتر به..»[٢].

فليس على المنكر أن ينقب عن أسرار الناس. ويكاد يكون مفهوما أن المعاصى إذا خفيت إنما تضر صاحبها، وإذا أعلنت ضرت العامة[٣].

ولعل قول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره..»[٤].

يشير إلى صيرورة المنكر واقعا ملموسا، تراه الأعين. وهنا تبدأ مسئولية تغييره.

فقوله: «رأى» دال على وجوب العلم بوقوع المنكر علما محققا.

ويقول الماوردى: «ليس للمحتسب (المنكر) أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات»[٥].

والعلماء المحققون يرون: أن التجسس والتفتيش منهى عنه فى المنكرات ذات الآثار الفردية الشخصية، التى لايكاد يتعدى أثرها الفادح إلى كثير من الآخرين.

(١) انظر: الدكتور عبدالوهاب الشيشانى - حقوق الإنسان الأساسية (ص٣٩٤، ٣٩٥).

(٢) راجع: القاضى محمد بن أبى يعلى - طبقات الحنابلة (جـ٢ ص٢٨٠) نشر دار المعرفة بيروت.

(٣) راجع: محمد بن محمد السفارينى - لوامع الأنوار البهية (جـ٢ ص٤٣٣) ط المكتب الإسلامى بيروت.

(٤) سوف يأتى ذكر الحديث.

(٥) النووى شرح صحيح مسلم (جـ١ ص٣٤٢).

أما ما كان من المنكرات مبيرًا ماحقًا عزة الأمة وقوتها، فذلك يجب اتخاذ السبل إلى تغييرها ومنعها من قبل وقوعها.

وثم منكرات أعظم أثرا فى الأمة من غيرها، كمنكر إشاعة الفتنة فى الأمة لتقويض هيبة السلطان المسلم، والخروج عليه.

وكمنكر استراق أسرار الدولة وأخبارها لنقلها للعدو.

وكمنكر التآمر على إفساد اقتصاد الأمة، وثقافتها، وعقيدتها، وصحة أبنائها.

والتآمر على إشاعة الفاحشة فى الأمة، وتغييب عقول أبنائها، وتزوير إرادة الأمة.

وغير ذلك من المنكرات ذات الأثر الجسيم المبير.

فمثل هذه المنكرات يجب اتخاذ السبيل إلى تغييرها ومنعها[1].. وهذه المنكرات أعظم جرما من التجسس.

---

(١) راجع الدكتور محمود توفيق - فقه تغيير المنكر (ص٦٨).

التغيير في الواقع

قد لا يكون المرء بعيدا عن الصواب، إذا أدرك أن المجتمع الإسلامى الواسع العريض تعرض للسقوط فى منكرات مختلفة نتيجة لعاملين:

العامل الأول: سقوط من الداخل. والسقوط من الداخل أخطر منزلق. ولعل ما تعانيه المجتمعات الإسلامية من منكرات فكرية، واقتصادية، وسياسية، واجتماعية، كان نتيجة حتمية لانهدام الشخصية الإسلامية، وما أعقب ذلك من غياب الفاعلية فى حياة المسلم.

والعامل الثانى: الغزو الفكرى والثقافى الذى عمل على تضليل المجتمعات وخداعها، والتمويه عليها، وقلب الحقائق، وتشويه الحقيقة عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول[١].

ولَكَمْ تهاوت أمم، وشعوب، وأجيال، وتساقطت فى هاوية المنكرات، والانحراف، والفساد الخلقى، والعقدى، والاجتماعى، بسبب تصورات الغزو المزخرفة الخداعة، التى يرقص السذج والجهال على نغم إيقاعها، ويفتنون بسماعها، وأناقة ظاهرها.

ولكم عانى الإنسان والشعوب من أولئك الذين يصنعون المنكرات، ويصدرونها فى موجات تقتحم البيوت والديار.

لقد كان للمنكرات فى كل جيل دورها التخريبى فى حياة الإنسانية، إلا أن البشرية لم تشهد فى مرحلة من مراحل حياتها وضعا كان فيه للمنكرات خبراء،

---

(١) راجع الدكتور أحمد السايح فى الغزو الفكرى (ص٤١).

ومتفلسفون، وأجهزة، ومؤسسات كعصرنا الحاضر هذا، الذى اتخذت فيه المنكرات صبغة الفلسفة، والنظرية، والمبدأ[1].

وإذا تأملنا حال الأمة الإسلامية وجدنا ـ أنها من وجهة نظرنا ـ محاصرة بين غربتين:

غربة زمان.

وغربة مكان.

أما غربة الزمان. فهى بعد الأمة عن ماض حضارى، لم تعد تربطها به عوامل الثقافة الفاعلة.

وأما غربة المكان. فهى بعد الأمة عن وضع حضارى معاصر، تجهل عنه كل شىء.

وإذا عرفت عنه شيئا، فلا تعرف إلا المنكرات الخداعة.

ولذلك كان لابد لهذه الأمة من عملية تغيير، تخرج بها من الاغتراب الزمانى، والمكانى.

وليس هناك من وسيلة غير تغيير الواقع.

وقد لايخفى على أهل العلم.. أن الأمة الإسلامية تملك رصيدا ضخما من القيم الهادفة، وتوجيهات الإسلام.

وهذه القيم كفيلة عند استثمارها فى عملية تغيير الواقع بأن تجعل الأمة فى وضع يسمح لها بأن تنمى فلسفتها الخاصة.

ومما هو معروف أنه ليس كل عمل يصدر من الإنسان يسهم فى تغيير المنكر، وإنما ذلك العمل الذى ينطلق من الإنسان وفق ضوابط ومعايير دعا إليها منهج الإسلام فى التغيير[2].

---

(١) المصدر السابق (ص٤٢).

(٢) انظر الدكتور أحمد السايح فى الغزو الفكرى (ص١٣١) بتصرف.

إن من الناس من يتصور أن كل ما فى المجتمعات الإسلامية مخالف للإسلام، وأن كل الأنظمة، والقوانين، والمؤسسات ستهدم وتبنى من جديد ـ إن قمنا بعملية تغيير الواقع ـ.

وهذا ـ كما يقول العلماء ـ ليس بتصور سليم. فأكثر الأنظمة والقوانين والمؤسسات القائمة ستبقى بعد أن تنقى مما يناقض الإسلام وتطعم بما يؤهلها لخدمة قيمه ومقاصده(١).

إن قيام نظام إسلامى فى مجتمع لايعنى تغيير كل ما يراد تغييره فيه ما بين عشية وضحاها.

إذ هناك مبادئ ثلاثة لابد أن توضع فى الاعتبار، فى عملية التغيير المنشودة.

أولا: هناك مبدأ الضرورات التى اعترف بها الشرع، وجعل لها أحكاما.

ومبدأ الضرورات تقرره عدة قواعد فقهية.. مثل:

- الضرورات تبيح المحظورات..
- الضرورة تقدر بقدرها..
- الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة..

ولهذا المبدأ أدلته الشرعية العديدة، ولم يعد هناك خلاف حوله.

والضرورات الشرعية ليست كلها فردية ـ كم قد يتوهم البعض ـ فللمجتمع ضروراته، كما للفرد ضروراته.

إذ هناك ضرورات اقتصادية، وسياسية، وعسكرية، واجتماعية لها أحكامها الاستثنائية التى توجبها الشريعة، مراعاة لمصالح البشر التى هى أساس التشريع الإسلامى كله(٢).

ثانيا: مبدأ السكوت على المنكر.. وذلك إذا ترتب على تغييره منكر أكبر منه، دفعا لأعظم المفسدتين، وارتكابًا لأخف الضررين.

(١) انظر: فهمى هويدى ـ الدين والتغيير الاجتماعى ـ كتاب الحضارة الإنسانية.

(٢) انظر المصدر السابق (ص٢٩) وراجع الدكتور يوسف القرضاوى ـ مجلة الدوحة عدد يناير ١٩٨٦م حيث أن الأستاذ فهمى هويدى ذكر أنه استفاد من هذه الدراسة فيما ينقله.

وبناء على هذا المبدأ، يقرر الفقهاء: طاعة الإمام الفاسق إذا لم يمكن خلعه إلا بفتنة وفساد أكبر من فقه.

ومما يستدل به لهذا المبدأ حديث النبى ﷺ لعائشة: «لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة وجعلتها على أساس إبراهيم»[1].

ومن ذلك إبقاؤه ﷺ على المنافقين، وترك التعرض لهم، مع علمه بنفاق بعضهم على التعيين.

وتعليله ذلك بقوله: «أخشى أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه».

وفى القرآن الكريم يذكر الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام، أن هارون عليه السلام سكت على عبادة قومه للعجل الذى صنعه لهم السامرى، وفتنهم به، حتى يعود أخوه موسى ويفصل فى الأمر.

وفى هذا يذكر القرآن حوار موسى وأخيه هارون:

﴿ **قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** ﴾[2].

لم يعترض موسى على احتجاج أخيه بهذا العذر، مما يدل على اقراره وموافقته.

وليس شيء أعظم من السكوت على عبادة عجل ذهبى من دون الله حفاظا على وحدة القوم، ولكنه سكوت موقوت لاعتبار مقبول.

ويذكر ابن القيم: أن النبى ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله.

فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لايسوغ إنكاره[3].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم ـ كتاب الحج ـ حديث رقم (١٣٣٣).
(٢) سورة طه الآيات (٩٢ ـ ٩٤).
(٣) راجع: ابن القيم ـ إعلام الموقعين (جـ٢).

يقول ابن القيم: إن من تأمل ما جرى على الإسلام فى الفتن الكبار والصغار رأها من إضاعة هذا الأصل «مبدأ السكوت على المنكر» وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه[1].

ويروى: أن النبى ﷺ نهى عن تطبيق حد السرقة أثناء الحرب.. ورغم أنه حد من حدود الله فقد نهى عن إقامته فى الغزو، وخشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره، وهو التحاق صاحبه بالمشركين حمية وغضبا[2].

إذن تغيير الواقع لايكفى فيه مجرد منع المنكر، بل لايكفى فيه أيضا أن يكون الفرد أو الدولة ـ قادرا على تغيير المنكر، وإنما الأهم من ذلك كله هو ضمان تغيير الواقع إلى ماهو أفضل، وتجنب ما هو أسوأ.

ثالثا: مراعاة سنة التدرج. وهو مبدأ انتهجه الإسلام وهو يبنى المجتمع الإسلامى، إذ تدرج بهم فى الفرائض كالصلاة والصيام والجهاد.

كما تدرج بالمسلمين فى تحريم المحرمات كالخمر ونحوها.

ومن الشواهد على مراعاة التدرج، ما رواه المؤرخون عن الخليفة العادل عمر ابن عبدالعزيز.

إذ قال له ابنه عبدالملك يوما:

مالك لاتنفذ الأمور فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى الحق.

فقد كان ابنه الشاب يدعوه لأن يقضى على المظالم، وآثار الفساد دفعة واحدة، دون تريث، وأناة.

فكان رد الخليفة العادل: أخشى أن أحمل الناس على الحق حملة واحدة فيشق عليهم ويتركوه.

إن معرفة الأولويات ومنازل الأعمال وما يترتب عليها فعلا أو تركا أمر ضرورى للناهى عن المنكر، الباحث عن تغييره.

(١) راجع: المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه.

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لاتشربوا الخمر، لقالوا لاندع الخمر أبدا. ولو نزل: لاتزنوا، لقالوا: لاندع الزنا. لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإنى لجارية ألعب «بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر». ومانزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[1].

إن المنكرات التى تنخر فى بعض المجتمعات الإسلامية، هى حصيلة قرون متطاولة، وقد عمل على تعميق جذورها دهاقنة للفساد، وهذا يحتاج إلى تدرج فى محاولة التغيير..

* * *

(١) رواه البخارى ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب تأليف القرآن حديث رقم (٤٩٩٣).

الفصل الثاني

وسائل تغيير المنكر

أولا: بيان الرسول ﷺ فى تغيير المنكر

قد لايخفى على أهل العلم أن غاية تغيير المنكر غاية عظيمة.. لما لها من دلائل فى استقامة المجتمع، وطهارته.

ولقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يحرص على أن يظل المجتمع الإسلامى بعيدا عن السقوط فى الرذائل.

وبين صلوات الله وسلامه عليه المنهج الذى يجب اتباعه فى تغيير المنكر الذى تتعرض له مجتمعات الأمة.

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1].

فالرسول ﷺ يبين فى هذا الحديث السبل التى يسلكها المرء إلى التغيير.

ويصدر هذه السبل بقوله: «من رأى منكم منكر فليغيره» ولعل فى التعبير بالفعل الماضى «رأى» ما يشير إلى صيرورة المنكر واقعا يضر بالمجتمع، ويسىء إليه.

وهنا تبدأ مسئولية تغييره.. بخلاف ما إذا كان التعبير بالفعل المضارع. فإن دلالته على الحال والاستقبال. توصى بعدم تمام الذنب، وبالتالى لاتتحقق الرؤية الكاملة التى تجعل من التدخل أمرا ضروريا.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه - كتاب الإيمان - باب كون النهى عن المنكر من الإيمان (جـ١ ص٦٩) حديث رقم (٧٨). ورواه أبو داود - كتاب صلاة العيدين باب الخطبة حديث رقم (١١٢٨). ورواه الترمذى كتاب الفتن - باب ما جاء فى تغيير المنكر حديث (٢١٧٢). ورواه النسائى فى كتاب الإيمان. ورواه ابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والفتن - باب الأمر بالمعروف حديث رقم (٤٠١٣). وأخرجه أحمد فى المسند (جـ٣ ص ١٠، ٢٠، ٤٩، ٥٢). وأخرجه البيهقى فى الشعب (جـ١ ص٢١).

فلعل المذنب أن يقلع عن ذنبه الذى شرع فيه، وباشره فعلا فالمنكر لايأخذ موقف التغيير كلما رأى بادرة معصية ،ربما تكون فقاعة تظهر ثم تنطفى بذاتها(١).

والحديث قد جاء بالأمر بتغيير المنكر «فليغيره» وهو أقرب إلى معنى الإزالة. إن كان موجودا قائما.

والى المنع منه إن شارف على الوقوع.

وليس ظاهر الحديث أمرا بإزالة المنكر، وإقامة معروف مقامه. وإن كان يغلب تعاقب أحدهما الاخر.

فحيث غاب المنكر كان المعروف.

وحيث غاب المعروف كان المنكر.

وكأن الرسول ﷺ حين قال: «فليغيره» يهدى إلى أن تمام الفريضة وكمالها. بإقامة معروف مقام مايزال من المنكر، حتى لاندع للمنكر مجالا للعود.

فهو لم يقل: من رأى منكم فليزله، أو فليمنعه. وإنما قال: «فليغيره»(٢).

والمتأمل فى حديث «من رأى منكم منكرا فليغيره» يجد أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حين دعا من رأى منكرا أن يغيره، قد ذكر وسائل التغيير ومسالكه، ذلك أن ما يقع من عمل الإنسان نوعان كليان:

- داخلى جوانى قلبى.

- خارجى برانى.

وهذا الثانى (الخارجى) قسمان:

فعل، وقول.

القول: أداته اللسان وما ضارعه من أدوات البيان.

والفعل: أداته الجارحه كاليد وما ضاهاها مما يستخدمه الإنسان فى أفعاله.

---

(١) راجع الدكتور محمود محمد عمارة - من الذى يغير المنكر (ص٦٨) ط دار المنار ١٤١٢هـ ١٩٩١ القاهرة.

(٢) انظر الدكتور محمود توفيق - فقه تغيير المنكر (ص٦٩).

فالتغيير إما جوانى قلبى يترتب عليه واقع سلوكى فى الحياة . .

وإما خارجى فعلى أداته اليد وما ضاهاها .

وإما خارجى قولى أداته اللسان وما ضارعه .

فكان فيما ذكره الرسول ﷺ جمعا محكما، وهو قد رتبها على نحو جامع بين النهج الصاعد من وجه، والنازل من وجه أخر .

الوجه النازل : «اليد ـ اللسان ـ القلب» ناظر إلى الاستطاعة وإلى حال المغير ـ بكسر الياء مع التشديد ـ ومنزلته فى القيام بفريضة التغيير .

فإن المغير باليد ـ لاشك ـ أعلى قدرة واستطاعة .

فالتغيير باليد أحوج إلى مزيد من الشجاعة، والمصابرة، والحكمة والحزم .

ثم من بعده فى هذا المغيِّر باللسان .

ثم من دونهم جميعا فى هذا المغير بالقلب[1] .

والوجه الصاعد فى الترتيب نفسه (اليد ـ اللسان ـ القلب) ناظر إلى شمولية التكليف، وكثرة من يطيق أو من يصلح .

ولاشك فى أن التغيير باليد وما ضارعها . . من يكلف به لتحقيق شروطه فيه، أقل بكثير ممن يكلف بالتغيير باللسان .

وكذلك من يطيق أو من يصلح للتغيير باللسان، أقل ممن يطيق أو يصلح للتغيير بالقلب .

وأكثر ذلك عددا فى هذا التغيير، المغيرون بقلوبهم، فذلك الذى لايعجز عنه مسلم ألبتة .

فكل المسلمين له صالحون ماداموا أهلا للتكليف .

فالترتيب الذى ذكره النبى ﷺ ناظر فى حاليه إلى منهاجية التدرج العملى للتغيير .

---

(١) راجع : المصدر السابق (ص٩٤، ٩٥) بتصرف واختصار .

تدرج ينظر إلى درجات التكليف ومراحله، وإلى مقدار استطاعة فاعله[١].

واذا نظر المتأمل فيما تعلق بهذا الفعل - من رأى منكم منكر - من وسائله وآلاته، ألفى دلالة التغيير تتجدد بتجدد ما تعلق بها.

فغير خفى أن التغيير باليد ليس هو التغيير باللسان.

فاللسان ليس بألة إزالة ومنع، بل هو سبب له.

وكذلك القلب.

ولكن اليد قد تكون آلة إزالة وتغيير حقيقى.

فحقيقة تغيير المنكر تختلف باختلاف وسيلته وباختلاف المنكر الذى يقع عليه ذلك التغيير، وباختلاف من يقوم بذلك التغيير.

وحق المغير للمنكر، أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلا[٢].

ويقول الجصاص: إن إنكار المنكر على هذه الوجوه التى جاءت فى الحديث، هى على حسب الإمكان[٣].

فتغيير حالة المجتمع - فيما يعد خروجا عن المنهج الإسلامى - قد يكون بقوة السلطان.. وقد يكون بالإقناع والبيان.. وقد يكون بالصبر والرغبة الصادقة، فى تحول المجتمع وصلاحه، وعدم المشاركة فيما يبدو من منكر حتى لايشيع بين الناس[٤].

ولابد أن نقف على كلمة «منكر» التى جاءت مفعولا به فى قول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكرًا»..

وقد جاء لفظ المنكر: نكرة. ليكون عاما. فإن النكرة فى سياق الشرط تعم مثلما تعم فى سياق النفى.

(١) انظر: المصدر السابق (ص٦٩) بتصرف.
(٢) الإمام النووى - شرح صحيح مسلم (جـ٢ ص٢٥).
(٣) الجصاص - أحكام القرآن (جـ٢ ص٣٦).
(٤) انظر: الدكتور جمال الدين محمود - أصول المجتمع الإسلامى (ص١٨٩).

والمفعول الثانى للفعل «رأى منكم منكرا» محذوف ليدل على العموم. . فكأنه قيل: من رأى منكم منكرا واقعا من أحد الناس.

والمراد بالمنكر العام هنا: أن يكون مما دل الكتاب والسنة على أنه منكر، وألا يكون من المسائل المختلف فيها.

لأن المسائل المختلف فيها هى محل اجتهاد.

ومما يؤسف له. . أن كثيرا من الجهلة الذين أعماهم التعصب المذهبى. راحوا ينكرون على الناس أمورا.

وبدا لهؤلاء أنه لاتوجد مذاهب فقهية ولا كلامية غير ما هم عليه.

قال العلماء: فيجب على الناهى عن المنكر ألا ينكر على الناس فى المسائل المختلف فيها، كأن تكون هذه المسألة جائزة عند بعض الأئمة، وممنوعة عند بعضهم. . والفاعل لها مقلدا لإمامه المجيز لهذه المسائل[١].

يقول أبو حامد الغزالى: «فكل ماهو محل اجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله الضب، والضبع، ومتروك التسمية. .

ولا للشافعى أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وجلوسه فى دار أخذها بشفعة الجوار. إلى غير ذلك من مجارى الاجتهاد»[٢].

ويقول النووى: «إن المختلف فيه لا إنكار فيه. .»[٣].

ولايخفى على أهل العلم. إن الإنكار على المجتهد، والمختلف فيه لون من ألوان الجهل، تجعل المنكر يتعصب لرأيه فى مسألة خلافية، فينكر على كل مخالف للرأى الذى تبناه، معرضا بذلك عن قول جمهور العلماء: بأن الإنكار لايكون إلا فيما اتفق على كونه منكرا[٤].

---

(١) راجع الدكتور عبدالعزيز أحمد مسعود ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (جـ١ ص٢٢٧).
(٢) انظر: أبو حامد الغزالى ـ إحياء علوم الدين (جـ٣ ص٣٧، ٣٨، ٣٩).
(٣) ابن مفلح ـ الآداب الشرعية (جـ١ ص٨٩، ١٩٠).
(٤) راجع: عبدالحميد البلالى ـ فقه الدعوة فى إنكار المنكر (ص١١٢). .

يقول ابن قدامة: «ويشترط فى إنكار المنكر أن يكون معلوما كونه منكرا بغير اجتهاد. فكل ماهو فى محل الاجتهاد، فلا حسبة فيه»(١).

وروى أبو نعيم بسنده عن الإمام سفيان الثورى. قوله: «إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذى اختلف فيه وأنت ترى غيره، فلا تنهه»(٢).

وقال النووى: «ثم إن العلماء إنما ينكرون ما أجمع على إنكاره. أما المختلف فيه فلا إنكار فيه. لأن كل مجتهد مصيب، أو المصيب واحد ولا نعلمه.

ولم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين فى الفروع، ولا ينكر أحد على غيره، وإنما ينكرون ما خالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا»(٣).

ونقل ابن مفلاح فى الاداب الشرعية تحت عنوان: «لا إنكار على من اجتهد فيما يسوغ فيه خلاف فى الفروع». قال: وقد قال أحمد: لاينبغى للفقيه أن يحمل الناس على مذهب ولا يشدد عليهم»(٤).

فالمنكر الذى يجب تغييره «من رأى منكم منكرا فليغيره» هو المنكر الذى اتفق العلماء على أنه منكر، لثبوت الإنكار بالكتاب أو السنة بحيث لايكون إنكاره محل خلاف بين أهل العلم الموثوق بهم، من ذووى الاختصاص والتقوى فإن كان محل اجتهاد واختلاف فليس مما يجب على الأمة تغييره(٥).

---

(١) راجع، ابن قدامة ـ مختصر منهاج القاصدين (ص١١٣).
(٢) انظر: أبو نعيم: حلية الأولياء (جـ٦ ص٣٦٨).
(٣) انظر النحاس تنبيه الغافلين (ص١٠١).
(٤) ابن مفلح الاداب الشرعية (جـ١ ص١٨٦).
(٥) راجع: الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص٦٤، ٦٥).

ثانيا: الوسائل المغيِّرة للمنكر

تغيير المنكر باليد

إن المتأمل في حديث: «من رأى منكم منكرا فليغيره» أعماقا وأبعادا يجد أن التغيير باليد هو الأصل الذى يبُدأ به[1].

قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[2]. . فإبراهيم عليه السلام كسر الأصنام بيده.

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾[3]. فأخبر الله سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام أنه أحرق العجل الذى عبد من دون الله، ونسفه فى اليم.

وحينما فتح محمد رسول الله ﷺ مكة، أخذ يطعن الأصنام بعود بيده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[4].

والتغيير باليد الذى دعا إليه الإسلام الحنيف لمصلحة المجتمع الإسلامى مقصور على طائفة من الناس، يكون لها أو عليها دون غيرها، لكن يختلف مناطه باختلاف أمور أهمها:

---

(١) انظر: خالد عثمان السبت ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٣٢٥).
(٢) سورة الأنبياء الآية رقم (٥٧، ٥٨).
(٣) سورة طه الآية رقم (٩٧).
(٤) سورة الإسراء الآية رقم (٨١).
وراجع البخارى ـ الجامع الصحيح ـ كتاب التفسير ـ باب: وقل جاء الحق حديث رقم (٤٧٢٠).

١- أن يكون للمغير ولاية عامة على ذى المنكر، كولاية السلطان على رعيته، وأمته.

٢- أن يكون للمغير ولاية خاصة على ذى المنكر. كولاية الوالد على ولده، والزوج على زوجته.

٣- أن لا يكون للمغير ولاية عامة ولا خاصة.

- الحالة الأولى التى يكون للمغير ولاية عامة على ذى المنكر، كولاية السلطان على رعيته. فإن لهذا المغير أن يغير منكر رعيته باليد، أو ما يقوم مقام اليد من أوامر وقرارات لها قوة القانون.

كذلك السلطات التنفيذية التى تستطيع أن تقوم بإجراء التغيير وهى تملك القدرة على ذلك.

- الحالة الثانية: أن يكون للمغير ولاية خاصة على ذى المنكر. كولاية الوالد على ولده، والزوج على زوجته.

قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته. والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته. وكلكم راع ومسئول عن رعيته»[١].

فعلى الوالد والزوج وما ضارعهما تغيير المنكر الواقع ممن هو تحت ولايتهما باليد، وفقا لما يتناسب مع هذا المنكر من صور التغيير باليد دون الحدود أو ما فيه إزهاق روح وإراقة دم، فذلك للإمام بحقه الذى شرعه الله[٢].

- والحالة الثالثة: أن لا يكون للمغير ولاية عامة ولا ولاية خاصة كما بين أفراد المجتمع.

---

(١) أخرجه البخارى ـ كتاب الجمعة ـ باب الجمعة فى القرى والمدن.
وأخرجه مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب فضيلة الإمام العادل.

(٢) انظر الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص٩٧).

يقول العلماء: «ليس للعامة أن تغير المنكر الواقع ممن ليس لهم عليه ولاية تغييرًا باليد، بل عليهم إبلاغ ولى الأمر أو نوابه أو من أقامهم لذلك»[1].

فالتغيير باليد ليس مطلقا لكل واحد من الناس، وإنما هو من خصائص أولى الأمر والمسئولين الذين يملكون سلطة التنفيذ.

ويذكر العلماء قيودا على تغيير المنكر باليد. نذكرها فيما يلى:

١ـ تعذر الإنكار بغير اليد. قال ابن مفلح: «كأن يكون صاحب المنكر قد استنفذ معه أسلوب النصيحة المباشرة، وغير المباشرة، والرفق، واللين، والتخويف، والترغيب، والحكمة، والموعظة الحسنة.

ومع ذلك بقى مصرا على منكره، وعلم أن المنكر الذى يقوم به لايزال إلا باليد بعد تعذر الإنكار بغيرها، حينئذ تستخدم اليد فى التغيير[2]. .

٢ـ القيد الثانى: يغلب على ظن المغير للمنكر، أن تغييره بيده سيسبب منكرا أشد منه، من قتله أو قتل غيره.

يقول القاضى عياض رحمه الله: «فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرا أشد منه من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده»[3].

ويقول ابن قدامة: «فمن غلب على ظنه أنه يصيبه مكروه لم يجب عليه الإنكار..»[4].

يقول ابن تيمية: «وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه، مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق، ويجلد الشارب، ويقيم الحدود.

إنه إن فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد.

لأن كل واحد يضرب غيره، ويدعى أنه استحق ذلك فهذا ينبغى أن يقتصر فيه على ولى الأمر»[5].

(١) راجع: المصدر السابق (ص٩٩).
(٢) راجع: عبدالحميد البلالى فقه الدعوة فى إنكار المنكر (ص٦٠).
(٣) الإمام النووى ـ شرح صحيح مسلم (جـ٢ ص٢٥).
(٤) ابن قدامة ـ مختصر منهاج القاصدين (ص١٣٢، ١٣٣).
(٥) ابن تيمية ـ مختصر الفتاوى المصرية (ص٥٧٩).

وقد ذكر كثير من العلماء: أن تغيير المنكر إذا تطلب شهر سلاح وقوة فإن ذلك لابد فيه من إذن السلطان لئلا يؤدى إلى فتنة[١].

فمسألة تغيير المنكر باليد مشروطة بعدم ترتب مفسدة أكبر من المنكر الذى يراد تغييره.

وهناك جانب أخر فى المسألة يشير إليه ابن تيمية. حيث يقول: «وإذا لم يترتب على إنكاره باليد مكروه كالقتل، والضرب، ونهب الأموال وغيره من أنواع المكروه بكونه من أصحاب النفوذ، والسلطان.. فلابد ألا يغيب عن المنكر فتنة العوام، وتأويلهم المعوج لإنكاره باليد.

لهذا امتنع النبى ﷺ من قتل أو عقاب عبدالله بن أُبى سلول، وأمثاله من أئمة النفاق والفجور. لمالهم من أعوان..»[٢].

٣ـ تغيير المنكر باليد مشروط بالقدرة والاستطاعة، فلابد من توفر القدرة والاستطاعة، وهى مدى سلطان صاحب الإنكار على مقترف المنكر.

يقول أبو حامد الغزالى: أن يعلم المنكر أن المنكر يزول بقوله وفعله فيجب عليه الإنكار، وهذه هى القدرة المطلقة[٣].

وقال القرطبى: أجمع المسلمون ـ فيما ذكره ابن عبدالبر ـ أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه[٤].

فلابد أن تكون عند المغير للمنكر القدرة الكافية على هذه الإزالة.

ولاشك فى تفاوت المغييرين للمنكر فى هذه القدرة، وأعظمهم قدرة السلطان، والأمير، ومن بيده السلطة والأمر والنهى[٥].

فتغيير المنكر من صاحب السلطان، وصاحب النفوذ، والقوة.. أقوى، وأوجب.

---

(١) راجع: الجصاص ـ أحكام القرآن (جـ٢ ص٣١٥) وانظر: ابن عطية ـ المحرر الوجيز (جـ٣ ص١٨٨) ط قطر.
(٢) ابن تيمية ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٢٧) ط المكتبة القيمة مصر ١٤٠١هـ.
(٣) أبو حامد الغزالى ـ إحياء علوم الدين (جـ٧ ص ٢٦ ـ ٣٥).
(٤) القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن (جـ٤ ص٤٨).
(٥) الدكتور عبدالكريم زيدان ـ أصول الدعوة (ص٤٦٥).

لأن الله قد وضع فى يده سلطان التأديب، ووسائل الزجر بما شرع من عقوبات، وبما فوض إليه من تعزيرات.

وإذا كان أبرز أصحاب هذه المرتبة الحكام فلأنهم هم وحدهم القادرون على التغيير العملى العام، ثم الأمراء فيما ولوا وأمروا، ثم الرؤساء. فى أى عمل أو فى أى مكان فيمن ولوا من مرءوسين غيرهم.

ويليهم رب الأسرة فيمن يلى من الأولاد، والأهل. فى حدوده المرسومة بمقتضى الشرع.

والمربون الذين أعطاهم الشرع والقانون شيئا من صور التغيير العملى(١).

ولاشك أن لليد طرقا مختلفة فى تغيير المنكر.. كالحيلولة بين فاعل المنكر وبين المنكر.

ومن ذلك أيضا: أخذ فاعل المنكر من المحيط الفاسد إلى المحيط الصالح.

وأخذه باليد من حالته وتحويله إلى وجهة أخرى.

ومن ذلك استخدام اليد فى إفساد الآت المنكر، أو إذهاب عين المنكر، أو غلق الطرق المؤدية إلى المنكر.

فلليد مجالات كثيرة غير القتل، والضرب، والفتن، وقد تجدى أكثر من أى وسيلة أخرى(٢).

ومن ذلك ما يروى عن أبى أمامة. قال: إن فتى شابا أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله: ائذن لى فى الزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه.

وقال: مَهْ.. مَهْ.

فقال: ادنه.. فدنا منه قريبا قال: فجلس..

قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله. جعلنى الله فداك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا والله. جعلنى الله فداك.

---

(١) راجع: فاطمة عمر نصيف ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٧٨) رسالة ماجستير جامعة أم القرى مكة المكرمة.

(٢)راجع الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص٩٦).

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله. جعلنى الله فداك.

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله. جعلنى الله فداك.

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال: فوضع يده عليه. وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلفت إلى شىء[1].

فالرسول عليه الصلاة والسلام، وضع يده على صدر الشاب الذى كان يريد الوقوع فى الزنا، ودعا له بعد أن أقنعه.

وقد يكون تغيير المنكر باليد على طريق الجود، والعطاء.

وقد يكون تغيير المنكر عن طريق مد يد الصداقة، والتعاون، والتعارف، وتبادل المنافع.

فإذا رأى الإنسان المنكر، ووجد أنه لايتمكن من تغييره بيده إما لعدم قدرته على ذلك، أو خشية ترتب مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة.. لايصبح الإنسان ملزما بتغيير المنكر باليد.

تغيير المنكر باللسان

اللسان وسيلة التعريف، والتعليم، والمناصحة، والدعوة، وبيان الأحكام، وطرق الوقاية من المنكرات، وعلاج ما وقع منها. كما أن اللسان وسيلة التخويف من سوء العقبى فى الدارين لمن ارتكبها، أو أعان عليها، أو علمها ورضى بها.

والتغيير باللسان غير محصور فى تأنيب، وتعنيف من أقدم على منكر أو وقع فيه أو التشهير بمن اتخذ المنكر صناعة ورسالة.

والتغيير باللسان له صور جد كثيرة، وله أساليب متعددة:

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح ـ كتاب البر والصلة ـ باب فضل الرفق.

منها ما هو مباشر فى التغيير، ومنها ما يمكن كل مكلف أن يقوم به، ومنها مالا يقوم به إلا خاصة من المكلفين.

١ـ ما يستطيعه كل مسلم من التغيير غير قليل:

ـ منه تبليغ مَنْ يكون قادرا على التغيير باليد أو غيرها حين يكون ذلك أنجع وهو عنه عاجز، كتبليغ ولى الأمر، ومن يقوم مقامه بما يراه من منكر.

ـ ومنه ذكر الله تعالى بصفات الجلال والقهر، وآيات العذاب عند رؤية المنكر وأهله. ذكرا مسموعا لينتبه ذو المنكر فيحجم عنه، ويكف.

ـ ومنه الدعاء لأصحاب المنكرات بالهداية، والعفو عنهم، وتطهير المجتمع من منكراتهم[١].

٢ـ وما لايستطيعه إلا من تحققت فيه خصائص التغيير باللسان وآدابه:

ـ ومنه نشر العلم بأسباب الوقوع فى المنكر، وعواقبه، وطرائق الوقاية منه.

– ومنه التشهير بسير المحاربين الله ورسوله، الساعين فى الأرض فسادا.

ففى كشف هؤلاء، وما يمكرون ويكيدون للمسلمين، ونقض افتراءاتهم ودحضها، تغييرا بالغ للمنكر[٢].

ولتغيير المنكر مراتب على الناهى أن يسلكها، لأن الهدف الأساسى هو إصلاح الناس وليس إيذاؤهم..

المرتبة الأولى: التعريف. وذلك بأن يعرف مرتكب المنكر ـ إما مباشرة أو تعريضا ـ بأن هذا لاينبغى وأنت لست مما يفعل ذلك لأنك أرفع من ذلك.

يقول أبو حامد الغزالى: «فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادى[٣] يصلى ولايحسن الركوع والسجود، فيجب تعريفه باللطف من غير عنف.

(١) راجع الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص١٠٧).
(٢) المصدر السابق (ص١٠٨) بتصرف.
(٣) السوادى: الجاهل من أهل الريف.

وذلك لأن فى ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق، والتجهيل إيذاء. وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور ـ ولاسيما ـ بالشرع. فإيذاء المسلم محذور كما أن تقريره على المنكر محذور»[١].

فالناهى عن المنكر لابد أن يلبس لكل حالة لبوسها، ولابد فى كل الحالات من التعريف بالرفق، واللين، واللطف[٢].

ولقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا علم شخصا ما قد وقع فى محظور، فإنه يخطب ويعمم ولايخصص.

كل ذلك من أجل ألا يجرح شعور ذلك الشخص.

فقد ورد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئا قال: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»[٣].

المرتبة الثانية: النهى بالوعظ، والنصح، والتخويف من الله تعالى. وهذه الدرجة تتعلق غالبا فى مرتكب المنكر العارف بحكمه فى الشرع.

فالعارف بالمنكر يستعمل معه أسلوب الوعظ، والنصح، والتخويف من الله تعالى. وتذكيره بآيات الترهيب.

فقد يكون فى ذلك تذكير له. والله يقول: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٤].

وينبغى للمنكر فى هذه المرتبة أن يتدرج مع المنهى:

١ـ أن يذكر بعض النصوص من القرآن والسنة المخوفة للعاصين والمذنبين.

٢ـ التذكير بالأمم والطوائف والأشخاص الذين وقعوا فى المعصية وحل عليهم غضب الله وعذابه.

٣ـ التذكير بسلبيات الذنوب. وأن ما يصيب الإنسان فى نفسه وأهله وماله قد يكون بسبب الوقوع فى المنكر.

---

(١) راجع أبو حامد الغزالى ـ إحياء علوم الدين (جـ٣ ص٤٥) بتصرف.
(٢) راجع الدكتور عبدالعزيز بن أحمد المسعود ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (جـ١ ص٥١٩-٥٢٠) بتصرف.
(٣) رواه أبو داود فى سننه ـ كتاب الأدب ـ باب فى حسن العشرة حديث رقم (٤٧٨٨).
(٤) سورة الذاريات الآية رقم (٥٥).

ورد عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لايزيد العمر إلا البر، ولايرد القدر إلا الدعاء، وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»(١).

والناهى عن المنكر فى هذه الأصول لابد وأن يكون حريصا على أن تكون الموعظة سرا بين الناهى وفاعل المنكر، حتى لاتأخذ فاعل المنكر العزة بالإثم.

ذكر ابن عبدالبر عن مسعر بن كدام قال: «رحم الله من أهدى إلى عيوبى فى ستر بينى وبينه فإن النصيحة فى الملأ تقريع»(٢).

المرتبة الثالثة: الغلظة بالقول: والغلظة بالقول لا يلجأ إليها إلا بعد استخدام الأسلوب السهل اللين القريب وإدراك أن الأسلوب اللين لم يأت بما يفيد، عند ذلك يغلظ له القول، ويشدد عليه، ويزجره.

قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾(٣).

يقول الغزالى ولهذه المرتبة أدبان:

أحدهما: ألا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف.

وثانيهما: ألا ينطق إلا بالصدق ولايسترسل فيه، فيطلق لسانه الطويل بما لايحتاج إليه بل على قدر الحاجة(٤).

المرتبة الرابعة: التهديد والتخويف. وهذه المرتبة هى آخر المحاولات لنهيه باللسان.

وينبغى أن يكون التخويف فى حدود المعقول عقلا وشرعًا.

قال أبو حامد الغزالى: «ولايهدد بوعيد لايجوز له تحقيقه»(٥).

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه ـ كتاب الفتن ـ باب العقوبات ـ حديث رقم (٤٠٢٢).
(٢) ابن عبدالبر ـ بهجة المجالس (جـ١ ص٤٧).
(٣) سورة الأنبياء الآية رقم (٦٧).
(٤) أبو حامد الغزالى ـ إحياء علوم الدين (جـ٣ ص٤٧).
(٥) المصدر السابق (جـ٣ ص٥٠).

وسائل إنكار المنكر غير المباشرة:

وسائل إنكار المنكر وتغييره غير المباشرة، هى الوسائل المتنوعة التى تستخدم عند عدم التمكن من مواجهة صاحب المنكر وجها لوجه.. بسبب صعوبة الوصول إليه لبعده، أو بسبب منصبه ومكانته فى المجتمع، أو ما يترتب على مواجهته من الأضرار، والتى لايتحقق بسبب وقوعها إزالة المنكر، أو بسبب الخوف من التلعثم، واهتزاز المنطق حين المواجهة المباشرة.

من هذه الوسائل: الرسالة، والكتاب، والمقال الصحفى، وشريط التسجيل الصوتى، وشريط الفيديو المرئى، والفيلم السينمائى، والهاتف، والملصقات. وغيرها كثير من وسائل، وأساليب غير مباشرة.

تغيير المنكر عن طريق الرسائل:

قد لايخفى على أحد أن الرسالة من أقدم الوسائل غير المباشرة فى تغيير المنكر.

وقد استخدمها سليمان ـ عليه السلام ـ عندما أرسل إلى الملكة بلقيس ملكة سبأ يدعوها إلى الإسلام.

قال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[1].

واستخدم الرسائل محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد الحديبية.

عندما أرسل صلوات الله وسلامه عليه الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، وينكر عليهم ماهم فيه من الضلال.

والرسائل من أكثر الوسائل والأساليب غير المباشرة تأثيرا بصاحب المنكر.

---

(١) سورة النمل الآيات (٢٤ ـ ٢٨).

وكانت رسائل الرسول ﷺ التى بعث بها إلى الملوك والأمراء تشتمل على عناصر ثلاثة:

- المقدمة: والمقدمة دائما فيها جذب، حيث تهىء إلى قبول الموضوع.
- الموضوع: ويأتى فى أسهل الكلمات.
- الخاتمة: وغالبا لاتخلو فى رسائل الإنكار من أصلين:

الأصل الأول: الترغيب والترهيب.

الأصل الثانى: تبيان الدافع لإرسال الرسالة، والتى يبين فيها المرسل مدى حرصه على صاحب المنكر(١).

وقد أرسل رسول الله محمد ﷺ رسائل إلى النجاشى ملك الحبشة، وكسرى عظيم فارس، وهرقل عظيم الروم، والمقوقس عظيم القبط، وغيرهم(٢).

ومن يطالع رسائل وكتب الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقف على النقاط التالية:

أولا: وحدة موضوع سائر الكتب والرسائل، لأنها كلها تتضمن الدعوة إلى الإسلام، ابتداء من الإيمان بالله إلى الإيمان باليوم الأخر.

ثانيا: مراعاة حال المرسل إليه. فإن كان من أهل الكتاب بين رسول الله ﷺ له أن الإسلام يتضمن الإيمان بعيسى عليه السلام ورسالته.

ثالثا: بيان الترغيب والترهيب عن طريق إبراز الحساب الأخروى وتحديد مسئولية من بلغتهن الدعوة(٣)..

وقد تلقف الصحابة - رضوان الله عليهم - هذا الأسلوب بعد الرسول ﷺ.

فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرسل رسالة إلى رجل ذى بأس، وكان يوفد إليه لبأسه، وكان من أهل الشام وفقده يوما، فسأل عنه. فقيل: تتابع فى هذا الشراب. فدعا كاتبه. وقال له: أكتب:

---

(١) راجع: عبدالحميد البلالى - فقه الدعوة فى تغيير المنكر (ص ١٥٠ - ١٥١).
(٢) راجع: كتاب المغازى، وكتاب الجهاد فى صحيح البخارى وكتاب الجهاد فى صحيح مسلم.
(٣) الدكتور أحمد غلوش - الدعوة الإسلامية (ص٤٢٣) ط دار الكتاب اللبنانى مصر.

(من عمر بن الخطاب إلى فلان.

سلام عليك.

فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير)[1].

وكان تأثير الرسالة عظيما على الرجل.

فما أن استلمها وقرأها وأنعم النظر فيما جاء بها، حتى تاب وأناب.

وتذكر كتب السيرة: أن سبب إسلام خالد بن الوليد، هو رسالة بعث بها أخوه يحثه فيها على الدخول فى الإسلام.

قال له أخوه: فإننى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد؟

وقد سألنى رسول الله ﷺ. وقال: أين خالد؟

فقلت: يأتى الله به.

فقال: «مثله جهل الإسلام؟

ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له، ولقدّمناه على غيره».

فاستدرك يا أخى مافاتك من مواطن صالحة.

يقول خالد عن رسالة أخيه: فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الإسلام، وسرنى سؤال رسول الله ﷺ عنى[2].

وثمة رسائل كثيرة يكتبها العلماء، وأهل الفضل، وزعماء الإصلاح، وهذه الرسائل قد يتناقلها الناس، فينتشر ما فيها بين الناس فتكون دعوة إلى تغيير المنكر.

---

(١) انظر: ابن الجوزى ـ تاريخ عمر بن الخطاب (ص١٥٤).

(٢) راجع: ابن كثير ـ البداية والنهاية (جـ٤ ص٢٣٩).

وراجع: عبدالحميد البلالى ـ فقه الدعوة فى تغيير المنكر (ص١٥٦، ١٥٧).

وقد كتب فى القرون الهجرية الأولى الحكيم الترمذى رسائل وكانت الرسائل إجابة عن أسئلة ترد إليه .

وكتب غير الحكيم رسائل ، مما يدل على أن الرسائل لها دور كبير فى تغيير المنكر ، وإصلاح حال المجتمع .

والمجتمع الإسلامى فى أشد الحاجة إلى رسائل الحريصين على سلامة المجتمع ، وأمن الناس .

تغيير المنكر عن طريق الكتاب

الكتاب وسيلة من الوسائل القديمة التى استعملت لتغيير المنكر وقد ذكرت كتب التاريخ أن بعض العلماء قد أهدوا لبعض الملوك والأمراء كتبا متضمنة لإصلاح بعض المناكر .

ومن أشهر هذه الكتاب كتاب «المصباح المضىء فى خلافة المستضىء» .

والذى أهداه ابن الجوزى إلى الخليفة العباسى المستضىء . وقد تضمن الكتاب قصصا عن الخلفاء ، وتقبلهم نصح العلماء وعامة الناس .

إن بعض أصحاب المناكر ممن لايستطيع المغيرون للمنكر إقناعهم بسبب فارق الثقافة الشاسع ، قد يستفيدون من الكتاب إذا وصل إليهم .

وقد تبادر الهيئات الثقافية والمؤسسات التى تعمل للارتقاء بالمجتمع ، وتحرص على سلامته ، على إصدار الكتاب الذى يعالج قضايا الفساد والإفساد ، ويوضح خطر المنكرات التى تعيث فى الأرض .

إن شأن الكتاب خطير إذا أحسن ما فيه .

تغيير المنكر عن طريق المقال الصحفى

المقال الصحفى فن . وهذا الفن له كتابه المتخصصون . فإذا ما وجُهت المنكرات المختلفة بالمقالات الصحفية ، توارت المنكرات وزلزل بنيانها .

ومجال الصحافة لابد أن يستثمر من قبل أصحاب الحق للنهى عن المنكر .

والحقيقة أن الصحافة منبر هام فى تغيير المنكر . . وما تفعله الصحافة له تأثير كبير .

ومجتمعات الأمة الإسلامية فى حاجة إلى المقالات ، والتحقيقات ، واللقاءات الصحفية التى تنقد الواقع المر المشين ، وتوضح أخطار المنكر على المجتمع .

ولهذا كان لابد لنتمكن من مواجهة تحديات المنكر أن نكون على مستوى المسئولية .

فنعمل على صناعة صحافة تواجه ما ينخر فى عظام الأمة .

ونعمل على إعداد كوادر صحفية تستطيع مواجهة الباطل بكل حزم وحكمة .

ولايخفى أن المقالات الصحفية لها قراؤها الذين يقرأونها يوميا وأسبوعيا .

ولهذا السبب يكون تأثير المقالات كبيراً .

تغيير المنكر عن طريق شريط التسجيل الصوتى

وقد لانجانب الصواب إذا أدركنا أن شريط التسجيل الصوتى له فى كثير من المجتمعات الإسلامية شأن ، ومحلات خاصة به .

فإذا استثمر هذا اللون فى مخاطبة الناس وتنبيههم إلى ماينبغى أن يكون عليه الإنسان فى مجتمعه ، كان له دور فعال .

وقد كان لهذه الأشرطة الصوتية مساهمات فعالة فى هداية الكثيرين من المسلمين فى بعض المجتمعات .

تغيير المنكر عن طريق شريط الفيديو

أما شريط الفيديو . فقد يكون تأثيره عظيما ، لأنه يجمع بين الصوت والصورة .

فإذا أحسن إعداد ما يتناسب لتغيير المنكر . كان ذلك أمرا حسنا .

وإذا كان أصحاب المنكرات والدعوات الهدامة يستخدمون شريط الفيديو لأغراض دنيئة .

فما على الغيورين على المجتمع إلا أن يعملوا من خلال مؤسسات لاستخدام شريط الفيديو فى أغراض سامية شريفة تنأى بالمجتمع عن الرذائل .

تغيير المنكر عن طريق الفيلم السينمائى

الفيلم السينمائى له جمهور عريض . . والسينما لها روادها الذين يفضلونها على غيرها .

وقد كان كثير من الباحثين يظن أن رواد السينما سوف يقلون نتيجة لانتشار التليفزيون والفيديو .

وقد تأكد لدى كثير من أهل الدراسة والعلم إن السينما لها كثير ممن يعنى بها ويهتم .

فإذا نجح المجتمع أو مؤسساته الغيورة عليه فى إعداد أفلام سينمائية تعالج قضايا المنكر . وتبرز الجوانب السلبية فى فاعلى المنكر . . يقينا أن هذا له شأن .

وإذا كانت أفلام الميوعة والتخريب، وتدمير الأخلاق، وراءها أيدى، فلماذا لاتكون هناك أيادى تعمل على كل ما من شأنه أن يرقى بالمجتمع، ويشيع فيه الأمن والطمأنينة، يبدو لى أن ذلك ممكن إذا صدقت النيات .

تغيير المنكر عن طريق التليفزيون

التليفزيون جهاز من الأجهزة العلمية التى يمكن أن يكون أكثر نفعا وفائدة .

وجهاز التليفزيون قد تلتف حوله الأسرة فى البيت، فهو أكثر التصاقا بالإنسان .

ولذلك ما يعرض فى التليفزيون له تأثير كبير خاصة فى المشاهدين الصغار .

ويبدو لى أنه فى الإمكان استثمار ما يعرض على شاشة التليفزيون، ليكون طريقا فى تغيير المنكر .

وإذا كانت هناك برامج موجهة، فلنوجه منها ما يفيد المجتمع والأمة، وينير الطريق .

لاشك أننا نملك أدوات متعددة . تمكنا من مواجهة الأخطار والتحديات .

ومعنى هذا أننا نملك رصيدا ضخما يمكن استثماره فيما يجعل الأمة فى وضع أسمى .

وهناك غير ماذكرنا: الإذاعات، والقنوات الفضائية، والتليفون ومايجد فى مستقبل العلم.

وكل هذا يمكن استخدامه فيما يفيد الإنسان والإنسانية والأمة.

القدرة والاستطاعة وضابطها فى تغيير المنكر باليد واللسان

إن من فضل الله تعالى على خلقه.. أن جعل دين الإسلام دين الواقعية.. فهو لايطالب المسلمين بأمور فوق طاقتهم لا يستطيعون فعلها ـ أيا كان هذا المأمور ـ فإما أن يسقط كلية أو يخفف إلى درجة تتناسب مع قدرات هذا الشخص[1].

ولقد جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، موضحة ذلك أوضح بيان.

قال تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا أمرتم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[4].

فهذه النصوص الشرعية تبين فى وضوح، أن الإنسان لايكلف فوق طاقته فى أى أمر من أمور الشرع.. وما النهى عن المنكر إلا جزء من أوامر الشرع.. قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[5].

يقول الجصاص: أخبر النبى ﷺ فى هذا الحديث أن إنكار المنكر على هذه الوجوه الثلاثة على حسب الإمكان ودل على أنه إن لم يستطع تغييره بيده فعليه تغييره بلسانه، ثم إن لم يكن ذلك. فليس عليه أكثر من إنكاره بقلبه»[6].

ويقول عبدالقادر عودة: ويشترط فى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر..

(١) راجع: الدكتور عبدالعزيز بن أحمد المسعود ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٤٩٩).
(٢) سورة البقرة الآية رقم (٢٨٦).
(٣) سورة التغابن الآية رقم (١٦).
(٤) رواه البخارى فى صحيحه ـ كتاب الاعتصام بالسنة ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ حديث رقم (٧٢٨٨).
(٥) تقدم تخريج الحديث.
(٦) الجصاص ـ أحكام القرآن (جـ٢ ص٣٦).

أن يكون قادرا على الأمر والنهى وتغيير المنكر، فإن كان عاجزا فلا وجوب عليه إلا بقلبه[1].

فإذا ما كان تغيير المنكر ذا مراتب ثلاث ـ كما عرفنا ـ فإن الرسول ﷺ قد قيد فرضية التغيير[2] باليد بالاستطاعة، وكذلك التغيير باللسان.

فإن عجز عن الأولى، انتقل إلى الثانية، فإن عجز عنها أيضا انتقل إلى الأخيرة «التغيير القلبى»[3].

وقد اشترط العلماء ـ استنباطا من النصوص الواردة ـ أنه لايجاب النهى عن المنكر لابد من القدرة الحسية والمعنوية.. فإن عجز حسيا أو معنويا لم يعد قادرا.

والعجز الحسى: يكون لمرض أو فقد الأداة التى يكون بها التغيير فلايلزم الأخرس، والأصم، والأعمى. بما لايعلمون أنه منكر، أولا يستطيعون إنكاره لفقد تلك الحواس أو بعضها.

وكذلك لايلزم من يخشى على ماله وعرضه من النهب أو الانتهاك إذا نهى أو نحو ذلك[4].

ويقول العلماء: فإن تَحقَّق العجز الحسى عن مباشرة التغيير اليدوى واللسانى. بقى وجوب إعانة من هو غير عاجز إعانة مستطاعة مثل: المناصرة، والمؤازرة، وتكثير السواد، والدعاء له بالتوفيق والتثبيت[5].

والعجز المعنوى: يكون بالجهل وخوف مكروه على النفس أوالأهل. لأن من يقوم بتغيير المنكر، لابد وأن يكون عالما بأحكام الشرع، وعالما بالمنكرات.

(١) عبدالقادر عودة ـ التشريع الجنائى (جـ١ ص٤٩٧).
(٢) تغيير المنكر ـ كما ذكر العلماء ـ فرض كفائى.
(٣) راجع: الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص١١٧).
(٤) راجع: الدكتور عبدالعزيز بن أحمد ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص١٠٥).
(٥) الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص١١٧).

يقول الشيرازى: لما أن كانت الحسبة أمرا بمعروف، ونهيا عن منكر، وإصلاحا بين الناس. وجب أن يكون المحتسب[1] فقيها عارفا بأحكام الشريعة. ليعلم ما يأمر به وينهى عنه. فإن الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع. ولا مدخل للعقول فى معرفة المعروف والمنكر، إلا بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشرع، ويرتكب المحظور وهو غير عالم به»[2].

ويقول النووى: «إنما يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر وينهى»[3].

إذن.. فليس على العامى والجاهل إنكار فيما يحتاج إلى علم واجتهاد، بل يسقط عنه النهى فى هذه الحالة.

يقول أبو حامد الغزالى: العامى ينبغى له أن لايحتسب إلا فى الجليات المعلومة: كشرب الخمر، والزنا، وترك الصلاة. فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال، ويفتقر فيه إلى الاجتهاد، فالعامى إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه..»[4].

وإذا خاف طالب تغيير المنكر على نفسه أن يصيبه مكروه أو خاف على عرضه أو عرض أهله، فهو فى فسحة ورخصة.

يقول ابن بطال: «فإن خشى على نفسه أذى فهو فى سعة»[5] فمن خاف القتل إن غير المنكر، فله أن يدعه حتى يزول خوفه.

ويقول ابن العربى: «من خشى القتل عند تغيير المنكر فله أن يسكت عنه»[6].

إذن.. لابد من القدرة والاستطاعة فى تغيير المنكر باليد واللسان، ولاشك أن ضابط الاستطاعة والقدرة ليس له ميزان دقيق.

---

(١) من وظيفة المحتسب: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
(٢) راجع: عبدالرحمن الشيرازى ـ نهاية الرتبة فى الحسبة (ص٦) ط دار الثقافة بيروت ١٣٦٥هـ.
(٣) الإمام النووى ـ شرح صحيح مسلم (جـ١ ص٥١).
(٤) أبو حامد الغزالى ـ إحياء علوم الدين (جـ٣ ص ٢٨).
(٥) النووى ـ شرح صحيح مسلم (جـ١ ص٣٥٩). هامش إرشاد السارى.
(٦) ابن العربى ـ أحكام القرآن (جـ٢ ص٧٩٣) ط دار الجيل بيروت ١٤٠٧هـ.

فهذا يقدر على أمور لايستطيعها أخر .

وهذا أعطاه الله قوة فى العلم والجسم، وآخر قد فقدهما أو أحدهما .

فالضابط الحقيقى متروك لضمير الإنسان المسلم .

ويخطى كثير من الناس حين يتصورون أن قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾(١) . حجة لهم فى رفع الحرج عنهم فى عدم استطاعتهم النهى عن المنكر إذا أصلحوا هم أنفسهم .

وهذا التصور فيه ضرر كبير على الناس وعلى المجتمع، لأن الذين يتصورون هذا التصور لايهتمون بالناس، ولا بإصلاحهم ولا نهيهم عن منكر فعلوه . . وإنما يهتمون بإصلاح أنفسهم فقط(٢) .

وهذا الفهم له خيوط قديمة إلا أن الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه أزال هذا المفهوم العالق بأذهان بعض الناس فقال: «يأيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾(٣) . وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده»(٤) .

وعن جرير رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا»(٥) .

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله عز وجل إلى جبريل ـ عليه السلام ـ أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها . قال: يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين .

---

(١) سورة المائدة الآية رقم (١٠٥) .

(٢) راجع الدكتور عبدالعزيز أحمد المسعود ـ الأمر بالمعروف (جـ١ ص٥٠٤) .

(٣) سورة المائدة الآية رقم (١٠٥) .

(٤) وراه أبو داود فى سننه ـ كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهى ـ حديث رقم (٤٣٣٨) .

(٥) رواه أبو داود فى سننه ـ كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهى ـ حديث رقم (٤٣٣٩) . (جـ٤ ص١٢٢، ١٢٣) .

قال: فقال: اقلبها عليه وعليهم.. فإن وجهه لم يتمعر فيَّ ساعة قط»[1].

ويقول أبو بكر الجصاص حول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وليس على ما يظن هذا الظان لو تجردت هذه الآية عن قرينة. وذلك لأنه قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ يعنى أحفظوها. ﴿لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ومن الاهتداء: اتباع أمر الله فى أنفسنا، وفى غيرنا.. فلا دلالة إذا على سقوط فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[2].

ويقول ابن تيمية حول الآية: والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات. لم يضره ضلال الضلال[3].

تغيير المنكر بالقلب

المنكر لايقره الإسلام.. بأى حال من الأحوال.

ولما كان الناس يختلفون فى قدراتهم الجسمية، والعقلية وغير ذلك.. فإن الشارع الحكيم رتب إنكار المنكر على حسب قدرات الشخص وامكانيّاته.

ولكن لايعذر أحد من المكلفين بترك الإنكار.

فعلى الإنسان تغيير المنكر بيده..

فإن لم يستطع فبلسانه..

فإن لم يستطع فبقلبه.

وكل إنسان مكلف يستطيع الإنكار بالقلب.

والأصل فى الإنكار. ما رواه الإمام مسلم بسنده عن النبى ﷺ قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[4].

---

(١) محمد بن عبدالله التبريزى ـ مشكاة المصابيح ـ كتاب الآداب ـ باب الأمر بالمعروف حديث رقم (٥١٥٢).

(٢) أبو بكر الجصاص ـ أحكام القرآن (جـ٢ ص٥٩٢).

(٣) ابن تيمية ـ الحسبة فى الإسلام (ص٦٢) ط دار الكتاب العربى.

(٤) سبق تخريجه.

ويروى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره..

ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون.

فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن..

ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن..

ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن..

وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[١].

ويذكر العلماء: أنه لا رخصة لأحد فى ترك تغيير المنكر بالقلب البتة، فكل المسلمين صالحون لذلك ماداموا أهلا للتكليف[٢].

ولايخفى أنه تمر بالإنسان حالات لايستطيع فيها تغيير المنكر إما لضعفه أو لعجزه أو لقوة فاعل المنكر. فلايستطيع تغييره لابيده، ولابلسانه، فيتعين عليه تغييره بقلبه.

فمن يعجز عن التغيير بالفعل والقول.. فليس من حقه أن يسكت عن المنكرات، ولا أن يقف منها موقفا سلبيا كما يفعل أكثر الناس الضعفاء.. فيسد سمعه، ويغمض عينيه ويحوقل.. بل لابد أن يكون موقفه إيجابيا، وهذا الموقف الإيجابى هو الإنكار بالقلب[٣].

وكثير من الناس قد يظن أن التغيير بالقلب دعوة إلى السلبية إذا ترك كل مسلم المجتمع دون أن يعنى بالإصلاح لما فسد به.

ولكن ذلك مردود بأن السلبية تعنى عدم الاهتمام أصلا بما يجرى فى المجتمع المسلم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب كون النهى عن المنكر من الإيمان.
(٢) خالد عثمان السبت ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٣٣٣).
(٣) فاطمة عمر نصيف ـ الأمر بالمعروف (ص٨٠) رسالة ماجستير جامعة أم القرى.

بينما الاستنكار أو الإنكار على ما يظهر من فساد هو أول درجات هذا الاهتمام.

ولايحاول أحد أن يقلل من شأن هذا الإنكار القلبى، لأنه مقرون بداهة بعدم مشاركة المنكر فيما يجد ويشيع من فساد.

ومن المعلوم أن المنكرات لاتشيع، ولا تؤثر فى المجتمع إلا بمشاركة غالبية الناس، أو عدم أبدائهم الإنكار لها[1].

ويقول العلماء: إن تغيير المنكر بالقلب يفسر بأنه كره المنكر، وهذا هو الذى وسعه المغير بقلبه[2].

وإذا كان كره المنكرات وأصحابها فعلا قلبيا، فإن له واقعا سلوكيا فى حياة صاحبه.

فإن من آيات أو ثمرات كره المنكرات: الاعراض عنها وعن أصحابها، واجتنابهم، والاعتصام من الاختلاط بهم، وفعل ما يمكن أن يعود عليهم بنفع دنيوى، ووجوب إظهار بغض أفعالهم، واحتقارهم ماداموا على منكرهم، ووجوب قطيعتهم فى شتى حركات الحياة الاجتماعية والثقافية، ولاسيما المجاهدون منهم بمنكراتهم.

وسبيل مقاطعة أهل المنكر المجاهرين والمرجفين فى المدينة به ضرب من ضروب التغيير المؤثرة.

وهو مما لايعجز عنه أحد أبدا[3].

وقد علمنا رسول الله ﷺ اتخاذ هذا السبيل فى واقعة الذين تخلفوا عن غزوة العسرة.

---

(١) الدكتور جمال الدين محمود ـ أصول المجتمع الإسلامى (ص١٩٠، ١٩١).

(٢) شرح النووى صحيح مسلم (جـ١ ص٣٤١) هامش إرشاد السارى، نقلا من كتاب فقه تغيير المنكر للدكتور محمود توفيق محمد سعد.

(٣) انظر الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص١١٣).

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[1].

يقول القرطبى: فيجب اجتناب أصحاب المعاصى إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضى فعلهم.

فكل من جلس فى مجلس معصية، ولم ينكر عليهم يكون معهم فى الوزر سواء.

وينبغى أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغى أن يقوم عنهم..[2].

فالرجل إذا علم من الأخر منكرا، وعلم أنه لايقبل منه.. فعليه أن يعرض عنه إعراض مُنْكِرٍ، ولايُقبل عليه[3].

فمجرد عدم الرضا القلبى عن المنكر وصاحبه غير كاف فى تغيير المنكر، ولايعد صاحبه مغيرا..

والنبى صلوات الله وسلامه عليه قال: «فليغيره بقلبه» نظرا لثمرته التى ينبغى أن تنبثق من هذا الكره القلبى[4].

وقد جعل النبى ﷺ هذا التغيير الذى ينبثق من القلب فيؤدى إلى بغض أصحاب المنكر، جعله النبى «أضعف الإيمان».

قال ابن تيمية: مراده بقوله «أضعف الإيمان» أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل فى الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان.

ليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال: «ليس وراء ذلك» فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، فكل منهم فعل الإيمان الذى يجب عليه»[5].

(١) سورة التوبة الآية رقم (١١٨).

(٢) الإمام القرطبى - الجامع لأحكام القرآن (جـ٥ ص٤١٨).

(٣) المصدر السابق (جـ٤ ص١٢).

(٤) انظر الدكتور محمود توفيق - فقه تغيير المنكر (ص١١٣).

(٥) ابن تيمية - مجموع الفتاوى (جـ٢٨ ص١٢٧) ط الرياض.

وقال القرافى: «قد نجد أعظم الناس إيمانا يعجز عن الإنكار، وعجزه لاينافى تعظيمه لله تعالى وقوة الإيمان.

لأن الشرع منعه أو أسقطه عنه بسبب عجزه عن الإنكار، لكونه يؤدى لمفسدة أعظم.

أو نقول: لايلزم من العجز عن القربة نقص الإيمان..

فما معنى قوله عليه السلام: «وذلك أضعف الإيمان».

المراد بالإيمان ههنا الإيمان الفعلى الوارد فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[1] أى صلاتكم لبيت المقدس. والصلاة فعل.

وأقوى الإيمان الفعلى إزالة اليد، لاستلزامه إزالة المفسدة على الفور.

ثم القول لأنه قد لاتقع معه الإزالة، وقد تقع.

والإنكار القلبى لايورث إزالة البتة»[2].

ويقول بعض العلماء: إن معنى قوله ﷺ «وذلك أضعف الإيمان»: أى أن تكاليف هذا السبيل من التغيير أضعف تكاليف الإيمان.

فكل من تلبس بالإيمان هو قادر عليه.

ولذلك جاء قوله هذا مناظرا لقوله: «فإن لم يستطع» فى الضربين الأولين: التغيير اليدوى واللسانى.

فكأنه قال: فليغيره بقلبه..

وهذا يستطيعه كل مسلم، لأنه أضعف الإيمان.

وهو يتناسق من وجه مع قوله فى رواية أخرى: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». أى ليس وراء هذا التكليف من تكاليف الإيمان حبة خردل، فهو أخفها وأيسرها.

وعلى هذا لايكون قوله: «وذلك أضعف الإيمان» وصفا بالضعف لإيمان من عجز عن التغيير اليدوى أو اللسانى، ولكنه قام بحق التغيير القلبى..

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٤٣).

(٢) القرافى - الفروق (جـ٤ ص٢٥٦).

بل هو وصف بالضعف واليسر لما كلف به من عجز عن التغيير اليدوى واللسانى.

أى ما كلف به من تكاليف الإيمان ضعيف يسير، لايعجز عنه أحدا أبدا..

لأن من عجز عن التكليف الأعلى، وقام بحق التكليف الأدنى لايوصف إيمانه بأنه ضعيف، بل إيمانه قوى.

فمن عجز عن الصلاة قائما وصلى جالسا صلاة تامة، لايوصف إيمانه بالضعف، بل يوصف ما كلف به بأنه أيسر مما كلف به غيره وأضعف ثقلا.

فالإيمان لايوصف بالضعف إلا إيمان من ترك ما هو قادر عليه.

أما من عجز عن أمر، وقام بحق ما استطاعه، فإنه لايوصف إيمانه بضعف، وإن وصفت تكاليف ماقدر عليه بأنها أضعف من تكاليف ما عجز عنه[1].

ويذهب جماعة إلى أن هذا وصف لثمرة هذا التغيير القلبى فقوله: «أضعف الإيمان» أى أقله ثمرة، وهو مقبول.

إذا ما ناظرنا ثمرة التغيير القلبى بثمرة التغيير اليدوى واللسانى من وجه.

وإن كانت ثمرة هذا التغيير القلبى قد تكون مع بعض المنكرات أعظم أثرا من غيرها، ولذلك فعلها النبى ﷺ مع الذين تخلفوا عن غزوة العسرة[2].

ويقول العلماء: قوله: «وذلك أضعف الإيمان» وصف لتكاليف التغييرالقلبى، وليس وصفا لثمرته أو وصفا لإيمان فاعله القائم بحقه، العاجز عن التغيير اليدوى واللسانى.

والتغيير القلبى للمنكرات بهذا المعنى كره قلبى تصاحبه استجابة سلوكية لمقتضياته.

وهو ملازم لما هو أعلى منه تكليفا.. فمن استطاع التغيير اليدوى لزمه معه أيضا التغيير القلبى، وكذلك مستطيع التغيير اللسانى يلزمه التغيير القلبى[3].

(١) راجع الدكتور محمود توفيق ـ فقه تغيير المنكر (ص١١٤، ١١٥).
(٢) راجع: المصدر السابق (ص١١٥). بتصرف.
(٣) انظر: المصدر نفسه.

وقد لايخفى على أحد . . أن التغيير القلبى ولو كان أضعف الإيمان فإن فيه دلالة على حفظ حيوية القلب وصفائه . .

والمغيِّر بقلبه عازم على تغيير المنكر بمجرد توفر الاستطاعة .

وتعبير الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه تغيير ، دليل على أنه عمل إيجابى فى طبيعته .

حكمة السعى فى تغيير المنكر

من شأن المصلحين والمخلصين لمجتمعاتهم والأمة ، أن يكونوا حريصين على سلامة مجتمعاتهم ونظافة بيئاتهم .

قال الحسن رضى الله عنه : قال النبى ﷺ : «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فهو خليفة الله فى أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه» .

والخلافة : أمانة ومسئولية ، يقوم بها الذين يسعون لإصلاح الناس فى الأرض .

وقد ورد عن درة بنت أبى لهب قالت : جاء رجل للنبى ﷺ وهو على المنبر فقال : من خير الناس يارسول الله؟

قال : «آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، وأتقاهم لله ، وأوصلهم» ثم قرأ الرسول ﷺ : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾(١) .

إذن من مناط الأمانة والمسئولية والخيرية ، أن يكون الإنسان أهلا لتغيير المنكر .

والنهى عن المنكر لايليق بكل أحد ، وإنما يقوم به السلطان إذا كانت إقامة الحدود إليه ، والتعزير إلى رأيه ، والحبس والإطلاق له وكذلك النفى والتغريب .

فإمضاء الحدود على وجهها ، وقطع المنكرات بالزجر عنها ، والعقاب عليها ،

(١) سورة التوبة الآية رقم (٧١) .

يدخل تحت قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

وبعد ذلك يأتى دور العلماء حين ينهون عن المنكر بالبيان والإقناع، وهو دور هام من أوجه الإصلاح.

ذلك أن الناس فى جملتهم يميلون إلى الطاعة إذا اقتنعوا وبين لهم العلماء وجه الطاعة، وشر المخالفة فى الدين.

ولايخفى أن تغيير المنكر بالقلب له شأن كبير لأنه حال كل المسلمين.

وتغيير المنكر لايقتضى خروجا عن المنهج الذى وضعه الإسلام.

فالمنكرات ـ كما نعلم ـ منها الكبائر، ومنها الصغائر، ومنها ما بين هذا وذاك من المعاصى والسيئات، ويختلف أثرها فى المجتمع.

فبعضها يذهب بمصالح عامة المسلمين أو يؤدى إلى ضرر حال، أولا يستطاع دفعه إلا بالجهد الكبير.

وبعضها ولاشك لايصل لمثل هذا الأثر[2].

فتغيير المنكر فى مجتمعات الأمة الإسلامية ـ وفق الضوابط والوسائل التى وضعها وبينها المنهج الإسلامى، ضرورة حياتية حتى يسلم المجتمع من الإنهيار، وعبث المفسدين.

ولايخفى أن مجتمعات المسلمين تتعرض لتيارات الإفساد التى دأب أعداء الحق على نشرها.

والتيارات الإفسادية بحركتها الفكرية والعملية من أخطر ما تواجه الأمة.

لأن ما تقوم به هذه التيارات من نشر المنكر، يقوض دعائم بناء المجتمع، ويشغل الناس بما يبعدهم عن العمل والإنتاج.

وليس هناك أمام الغيورين من سبيل إلا تغيير المنكر وإثبات الذات.

---

(١) سورة الحج الآية رقم (٤١).

(٢) راجع الدكتور جمال الدين محمود ـ أصول المجتمع الإسلامى (ص١٨٧ ـ ١٩٣).

ولاشك أن إثبات الذات وبناء الشخصية والسعى إلى تغيير المنكر . . دليل صحة، ودليل عافية، ودليل وعى .

فإذا ما قام المسلمون بالنهى عن المنكر وتغييره، سلم الناهى وسلم المجتمع كله .

ـ فالناهى عن المنكر . . يخرج بسعيه إلى تغيير المنكر ـ فى أى صورة من وسائل التغيير ـ من عهدة التكليف والمسئولية .

قال على بن الحسين: «التارك للأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر . كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقى منهم تقاة . . .

قالوا : وما تقاه؟ .

قال : يخاف جبارًا عنيدا أن يسطو عليه، وأن يطغى[1] .

ـ والمغير للمنكر ينجو من عذاب الله فى الدنيا وفى الآخرة، وحينما يحل العذاب بقوم ظالمين، ينجّى الله الذين ينهون عن السوء قال تعالى : ﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾[3] .

ـ تغيير المنكر يؤدى إلى رجاء أن ينتفع المنهى، ويستقيم أمره . قال تعالى : ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4] .

ـ تهيئة الأسباب لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية . فالمنهى إذا انتهى من منكره، وانتفع واهتدى، كان ذلك سببا فى نجاته وسعادته .

---

(١) راجع : ابن كثير ـ البداية والنهاية (جـ٩ ص ١١٥) .
(٢) سورة هود الآية رقم (١١٦، ١١٧) .
(٣) سورة الأعراف الآية رقم (١٦٥) .
(٤) سورة الذاريات الآية رقم (٥٥) .

ـ إن تغيير المنكر فى مجتمعات الأمة يؤدى إلى إقامة الملة، والشريعة. وحفظ العقيدة والدين. ويتجه الناس إلى أعمالهم ووظائفهم وهم آمنون، فيتفرغون لكل ما من شأنه أن يعلى من مكانة المجتمع، ويرقى بسمعته..

ويحسن أن يفطن المصلحون إلى أن تغيير المنكر إذا أهمل شعر الناس بالخواء الفكرى والروحى، وبدأوا يبحثون عما يسد جوعتهم، ويملأ نفوسهم وقلوبهم، واتجهوا إلى معروضات الأمم، وهجمت عليهم الانحرافات بأنواعها، وألوانها التى لاتحصى[1].. فيندفعون إلى التطرف والإرهاب.

ـ الناهون عن المنكر. صمام أمان للشعوب والأمم. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[2].

ـ حين يقوم الناس بوظيفة تغيير المنكر يحصل لهم الطموح والترفع عن الدنيا.. كما يحصل لهم الشعور بأنهم رواد إصلاح فى الأمة، وأن أمتهم خير الأمم.

ـ المجتمع الذى يتناهى فيه الناس عن المنكر، مجتمع نابه، يأخذ طريقه إلى الرشاد والسداد.

* * *

(١) راجع: خالد عثمان السبت ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٧٣).
(٢) سورة هود الآية رقم (١١٧).

الفصل الثالث

صفات الناهين عن المنكر

١ـ الحكمة

لاشك أن الإنسان الذى حمل الأمانة التى ثقلت على هذه المخلوقات العظيمة. ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾(١). لاشك أن فى هذا الإنسان صفات أهلته لهذا الشرف.

وبغير هذه الصفات يصبح من الصعب أن يكون الإنسان من رواد حمل هذه الأمانة.

وان فقدت هذه الصفات أو واحدة منها، فإنه يتعذر على الإنسان مواصلة الطريق(٢).

ولابد لهؤلاء الرواد من أن يتحلوا بكل الصفات الحسنة التى دعا إليها الإسلام الحنيف.

لأنهم لايمكن أن يؤثروا فى الأخرين ـ نهيا وتغييرا ـ إلا إذا كانوا يحملون أسمى القيم، ويتحلون بأنبل الفضائل.

والحكمة من أبرز الصفات التى يجب أن تكون فى هؤلاء الرواد.

والحكمة صفة ضرورية لمن يتصدى لتغيير المنكر، ونهى الناس عنه. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(٣).

والحكمة وضع الأمور فى مواضعها، والنظر فى أحوال المخاطبين وظروفهم، ومعرفة القدر الذى يبينه للناس فى كل مرة حتى لايثقل عليهم، ولايشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها.

وكذلك إدراك الطريقة التى يخاطبهم بها، والتنويع فى هذه الطريقة حسب مقتضياتها.

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم (٧٢).
(٢) راجع: عبدالحميد البلالى ـ فقه الدعوة فى تغيير المنكر (ص٣٣).
(٣) سورة النحل الآية رقم (١٢٥).

فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة فى هذا كله وفى سواه[1].

يقول العلماء: وليس من الحكمة استخدام أسلوب واحد فى النهى عن المنكر، والسعى إلى تغييره مع الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والمثقف والجاهل، والأمير والحقير، والغضوب والهادى.

بل لابد من تنويع أسلوب المخاطبة بما يناسب السن، والثقافة، والطبيعة النفسية، والمركز الاجتماعى لكل فرد، وظروف المجتمع، وأحواله[2].

ولاشك فإن من يؤتى الحكمة فى النهى عن المنكر على هذا النحو، فقد أوتى خيرا كثيرا.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

والحكمة تكون لمن تطهرت قلوبهم عن الرذائل، وصفت لله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم: «إذا غذى القلب بالتذكر، وسقى بالتفكر، ونقى من الدغل.. رأى العجائب، وألهم الحكمة»[4].

فالناهى عن المنكر.. لابد وأن يكون حكيما. لأن النفوس مجبولة على حب سماع الكلام الطيب، المحبب إلى النفوس.

٢ـ إخلاص العمل لله تعالى

لابد للناهى عن المنكر والساعى إلى تغييره من الإخلاص وإحضار النية.

والإخلاص: أن يطلب بعمله وجه الله تعالى ورضاه، دون أن يقصد بما يقوم به سمعةً أو شهرةً، أو منزلة فى قلوب الناس أو شيئا من دنياهم.

---

(١) راجع: سيد قطب ـ ظلال القرآن (جـ٤ ص٢٢٠٢).

(٢) انظر: عبدالحميد البلالى ـ فقه الدعوة فى إنكار المنكر (ص٣٤).

(٣) سورة البقرة الآية رقم (٢٦٩).

(٤) ابن القيم ـ الفوائد (ص١٢٨).

قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[1].

وقال تعالى آمرًا نبيه أن يقول: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾[2].

والإخلاص شرط فى قبول الأعمال الصالحة. قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[3].

ويتأكد الإخلاص فى حال كون العمل بارزا ظاهرا يراه الناس ويشاهدونه أو يشاهدوا آثاره.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[4].

ويقول عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[5].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[7].

فالله سبحانه وتعالى لم يقل فى هذه الآيات الكريمات (ليبلوكم أيكم أكثر عملا). وإنما قال: ﴿ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ والأحسن عملا هو ما كان خالصا لله[8].

---

(١) سورة البينة الآية رقم (٥).
(٢) سورة الزمر الآيات رقم (٢١١، ٢١٤).
(٣) سورة الكهف الآية رقم (١١٠).
(٤) سورة هود الآية رقم (٧).
(٥) سورة الكهف الآية رقم (٣٠).
(٦) سورة الملك الآية رقم (٢).
(٧) سورة الكهف الآية رقم (٧).
(٨) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم (جـ٤ ص٣٩٦).

قال الفضيل: أحسن عملا: أخلصه وأصوبه.. والعمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصا وثوابا[١].

وورد فى الصحيحين وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه»[٢].

فمدار العبادة أفعالها وأقوالها تعتمد على الإخلاص فإذا حسَّن الإنسانُ نيته، وزينها فى أى عمل من الأعمال وقصد فى ذلك العمل وجه الله، أثابه الله على ذلك.

فالإخلاص أساس أمر المغير للمنكر. فبإخلاصه ينجح فى نهيه عن المنكر. قال ابن الجوزى: «إنما يتعثر من لم يخلص»[٣].

ويقول ابن النحاس: «من أخلص لله النية أثر كلامه فى القلوب القاسية فلينها، وفى الألسن الذربة فقيدها[٤].

إذن.. لابد من تصحيح القصد، وإخلاص النية.. حتى يحقق المغيِّر للمنكر مبتغاه فى إصلاح الفرد والمجتمع.

ومجتمعات الأمة فى أشد الحاجة إلى المخلصين الذين يعملون للإصلاح، ونشر الفضيلة، والقيم الرفيعة.

---

(١) ابن عبدالبر - جامع العلوم والحكم (ص١٢).
(٢) رواه البخارى - كتاب بدء الوحى - باب كيف كان بدء الوحى - حديث رقم(١).
ورواه مسلم - كتاب الامارة - باب قوله إنما الأعمال بالنيات (جـ٦ ص٤٨).
(٣) راجع الدكتور عبدالعزيز أحمد المسعود - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٢٥٦).
(٤) ابن النحاس - تنبيه الغافلين (ص٥٦).

٣ـ العلم والمعرفة

العلم من الصفات الأساسية التى لايستغنى عنها الناهى عن المنكر، لأن الله سبحانه وتعالى رفع من مكانة العلم، وجعل للعلماء منزلة تعلو منازل سائر المؤمنين[١].

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾[٣].

والآيات التى تبين فضل العلم كثيرة. وكلها توضح الفرق بين الذى يعلم والذى لايعلم، وتبين أن منزلة العلماء أرفع من منزلة سائر الذين أمنوا ولم يؤتوا حظا وافرا من العلم.

فالذى ينهى عن المنكر، لابد أن يكون عالما فيما ينهى عنه، فلاينهى إلا عما نهى عنه الشارع[٤].

قال النووى: إنما يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه وذلك يختلف باختلاف الشيء.. فإن كان من الواجبات الظاهرة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها.

وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء[٥].

لأن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلا وضلالا واتباعا للهوى.

فلابد إذن من العلم بالمنكر، كما لابد من العلم بحال المنهى[٦].

(١) راجع القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن (جـ١٥ ص ٢٤٠).
(٢) سورة الزمر الآية رقم (٩).
(٣) سورة المجادلة الآية رقم (١١).
(٤) أى يلتزم بما جاء به رب العزة فيما شرع لعباده.
(٥) الإمام النووى ـ شرح صحيح مسلم (جـ٢ ص٢٣).
(٦) ابن تيمية ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٢٨).

فإذا اقتحم الجهال باب النهى عن المنكر بلا علم، فإنهم يفسدون فى هذه الحال أكثر مما يصلحون.

فقد يأمر أحدهم بالمنكر، وينهى عن المعروف جهلا منه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[1].

قال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ : «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»[2].

فمن يتصدى لعملية النهى عن المنكر لابد وأن يلم بألوان من العلم والمعرفة تتصل بالنهى عن المنكر. يقول ابن الجوزى: «فينبغى للواعظ أن يكون حافظا لحديث رسول الله ﷺ عارفا لأخبار الزهاد، فقيها فى دين الله، عالما بالعربية واللغة، فصيح اللسان ومدار ذلك كله على تقوى الله عز وجل، وأنه بقدر تقواه يقع كلامه فى القلوب»[3].

ولابد لمن يتصدى للنهى عن المنكر، أن يفقه أنواع الحكم التكليفى وأنواع أفعال الرسول ﷺ حتى يعرف ما ينكر على الناس وما يغض الطرف عنه، وحتى لايشق على الناس، ويحملهم أكثر مما يطيقون. فإن الرسول ﷺ أوصى الصحابة رضى الله عنهم بقوله: «بشروا ولاتنفروا ويسروا ولا تعسروا»[4].

فلابد من معرفة دقيقة لأفعال النبى ﷺ ومعرفة حكم كل منها.

فما كان فى دائرة المباح أو المستحب، فلا إنكار فى تركه، وما كان فى دائرة المكروه فلا إنكار فى فعله.. ولامانع من الترغيب فى تركه، نظرا لما يترتب على تركه من الأجر.. وعدم ترتب شىء من الإثم فى فعله[5].

---

(١) سورة النحل الآية رقم (١١٦).

(٢) الإمام أحمد كتاب الزهد (ص٣٣٦) وانظر ابن الجوزى زاد المسير (جـ٦ ص٢٥٠).

(٣) ابن الجوزى ـ كتاب القصص (ص١٨٠).

(٤) الحديث متفق عليه.

(٥) راجع: عبدالحميد البلالى فقه الدعوة فى إنكار المنكر (ص٤٤).

ومما يؤسف له أن كثيرا من المتحمسين للنهى عن المنكر - فى بعض المجتمعات يخلطون بين أقوال الرسول وأفعاله، ولايفرقون بين أنواع الأقوال والأفعال.

فكل من ترك مباحا أو مستحبا كان يفعله الرسول ﷺ يجعلونه من المنكر الذى يجادلون الناس عليه، وترتفع الأصوات وتحمر الأوجه، وتنتفخ الأوداج. وربما تدخلت الأيادى بسبب ما يعتقدونه أن ذلك من المنكر الواجب إنكاره[1].

فالقيام بتغيير المنكر يستلزم ضرورة المعرفة الموسعة بعلم أصول الفقه والأحكام.

فليس حراما كل لفظ تضمن نهيا..

وليس فرضا كل لفظ ظاهره الوجوب..

وليس صاحب بدعة من ترك مباحا أو مستحبا[2].

والأمة تعانى من هؤلاء الذين أساءوا إلى المجتمع، ونفروا الناس من الاستماع إليهم.

٤- الرفق

صفة الرفق من الصفات المحببة إلى الخلق.

لأن الإنسان بفطرته يحب من يرفق به ويلين له.

والإنسان يقبل من طريق الرفق مالا يقبل من طريق العنف والشدة.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ويعطى عليه مالا يعطى على العنف»[3].

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «إن الرفق لايكون فى شىء إلا زانه ولاينزع من شىء إلا شأنه»[4].

(١) راجع: عبدالحميد البلالى - فقه الدعوة فى تغيير المنكر (ص٤١).
(٢) المستشار سالم البهنساوى - مقدمة كتاب فقه الدعوة (ص٧).
(٣) رواه مسلم. كتاب البر والصلة - باب فضل الرفق - حديث رقم (٢٥٩٣).
(٤) رواه مسلم - كتاب البر والصلة - باب فضل الرفق - حديث رقم (٢٥٩٤).

فالناهى عن المنكر والساعى إلى تغيير لابد وأن يكون متصفا بفضيلة الرفق والحلم واللين.

والطريق الأمثل الذى سلكه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هو مواجهة منكرات مجتمعاتهم بالرفق، واللين، والحكمة، والموعظة الحسنة. مما يجعل المنهى عن المنكر يشعر بأن الناهى مشفق عليه، وعلى المجتمع، ويحب له الخير. فتنفتح له نفسه، ويستجيب.

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]. أى قولوا لهم: القول الطيب وجادلوهم بأحسن ما يحبون.

جاء فى تفسير الألوسى: أن الناهى عن المنكر مطالب بالقول الحسن أيا كان هذا المدعو بر كان أو فاجرا، لما للقول الحسن من تأثير عليه[2].

ويقول سبحانه وتعالى عن رسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[3].

فلو كان الرسول ﷺ فظا، غليظ القلب.. ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر.

فالناس فى حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى وُدٍّ يسعهم، وحلم لايضيق بجهلهم، وضعفهم، ونقصهم.

فى حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولايحتاج إلى عطاء، ويحمل همومهم ولايعينهم بهمه.

ويجدون عنده دائما الاهتمام، والرعاية، والعطف، والسماحة، والود، والرضى[4].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٨٣).
(٢) الألوسى - روح المعانى (جـ١ ص٣٠٨).
(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٩.
(٤) سيد قطب - فى ظلال القرآن (جـ٢ ص٥٠٠).
(٥) سورة الأعراف. الآية رقم (١٩٩).

أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم، وأتى منهم وتسهل من غير كلفة، ولاتطلب منهم الجهد، وما يشق عليهم حتى لاينفروا، ولاتكافى السفهاء بمثل سفههم، ولاتمارهم، واحلم عنهم، وغض على ما يسوؤك منهم[1].

ويقول سبحانه وتعالى مخاطبا موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حينما بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[2].

قال ابن كثير: هذه الآية فيها عبر عظيمة، حيث كان فرعون فى غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أن لايخاطب فرعون إلا باللين والملاطفة[3].

فإذا كان هذا التوجيه فى جانب غير المؤمنين، فما التوجيه فى جانب المؤمنين بالله.

ويقول ابن تيمية: «والرفق سبيل النهى عن المنكر. ولهذا قيل: ليكن نهيك عن المنكر غير منكر[4].

ولايجوز بحال من الأحوال أن يكون النهى عن المنكر بطيش وتخرق[5].

ويقول سفيان الثورى: لاينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما ينهى، عدل بما ينهى، عالم بما ينهى[6].

وقد بين الرسول ﷺ بأن النار تحرم على الإنسان السهل الهين. فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار وبمن تحرم عليه النار، على كل قريب هين سهل»[7].

فمن الضرورى لنجاح الناهى عن المنكر أن يكون متواضعا، رفيقا، رحيما غير فظ، ولا غليظ القلب، ولامتعنتا.

---

(١) الزمخشرى ـ الكشاف (جـ٢ ص١٥٢).

(٢) سورة طه الآية رقم (٤٤).

(٣) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم (جـ٣ ص١٥٣).

(٤) ابن تيمية ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص١٧).

(٥) ابن عطية ـ المحرر الوجيز (جـ٣ ص١٨٧).

(٦) الخلال ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ص٤٦) أثر رقم (٣٢).

(٧) رواه الترمذى فى سننه ـ أبواب صفة القيامة ـ حديث رقم (٢٦٠٦).

الناهي عن المنكر والساعي إلى تغييره قد يواجه معارضة ممن ينهاهم.

ذلك لأنه ينهاهم عن أمر يخالف أهواءهم، وما اعتادوا عليه. ومن عاهد الله على أن يغير منكر فرد أو جماعة أو بيئة، وكان في استطاعته ذلك، كان لابد أن يتحمل ما يتعرض له من مضايقات ومعوقات.

جاء في ترجمة عمير بن حبيب بن حماسة الصحابي الجليل وصيته لبنيه يعلمهم فيها الصبر. فيقول: «إذا أراد أحدكم أن ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر، وعلى الأذى، وليوقن بالثواب من الله، فإنه من يثق بالثواب من الله لايجد مس الأذى»[1].

والصبر كما يقول ابن القيم: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يحسن ولايجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها[2].

ولقد ذكر الله تعالى الصبر في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومناسبات عديدة. كما أفاضت السنة النبوية في بيانه وما ذاك إلا لفضله وأثره.

قال تعالى حكاية عن لقمان في أمره لابنه بالصبر على مايصيبه بسبب النهي عن المنكر. ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[3].

فقول تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ**﴾ يقتضي حضا على تغيير المنكر[4].

وقال تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[5].

(١) انظر: الإمام أحمد ـ كتاب الزهد (ص١٨٦).
(٢) ابن القيم الجوزية ـ عدة الصابرين وزخيرة الشاكرين (ص١٤).
(٣) سورة لقمان الآية رقم (١٧).
(٤) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن (جـ١٤ ص٦٨).
(٥) سور آل عمران الآية رقم (١٨٦).

يقول النسفى: خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها، حتى إذا لقوها وهم مستعدون، لايرهقهم مايرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها، وتشمئز منها نفسه[1].

فالمغير للمنكر لابد أن يروض نفسه على الصبر، وتحمل ما يمكن تحمله، لأن تغيير المنكر يحتاج إلى معاناة ووعى ويقظة وثقافة فاعلة.

والله سبحانه وتعالى أمر رسله الكرام بالصبر فى النهى عن المنكر، وتغيير ما ألفه الناس.

والرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين يأمره رب العزة فى بدايات الرسالة أن يصبر قال تعالى: ﴿ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[2].

فالقائم على النهى عن المنكر، إنما يقوم بمهمة من مهمات الأنبياء والرسل.. ولهذا كان عليه أن يقتدى بهم فى تعامله مع الناس حتى يتمكن من القيام بالإصلاح.

٦- القدوة

من الصفات النبيلة التى يتحلى بها الناهى عن المنكر، أن يسعى لإصلاح نفسه، فيزكيها ليصل إلى الفلاح.

لأن الله سبحانه وتعالى شنع بأولئك الذين يسعون لإصلاح الناس وينسون إصلاح أنفسهم فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[4].

(١) الإمام النسفى ـ محاسن التأويل (جـ١ ص١٩٩).
(٢) سورة المدثر الآيات: (١ ـ ٧).
(٣) سورة البقرة الآية رقم: (٤٤).
(٤) سورة الصف الآية رقم: (٢، ٣).

وإذا كان بعض العلماء: يرى أن الإنسان ينهى عن المنكر وإن كان يفعله[1]. فإن الأمر العظيم الذى يجب أن يفطن إليه، قبول نهى الناهى وتأثيره على الناس.

فإذا كان الناهى عن المنكر صالحا ومستقيما فى نفسه، فحرى أن يقبل قوله وتسمع كلمته، ويكون له تأثير فى المجتمع.

وقد ذكرنا ونحن نتكلم عن فضيلة الصبر التى يتحلى بها الناهون عن المنكر، أن الإنسان لابد وأن يقتدى بالأنبياء والمرسلين وقد أمرنا رب العزة أن نقتدى بالرسول محمد ﷺ فيما نقوم به من حركة الحياة.

وكذلك لابد أن يكون الإنسان الناهى عن المنكر قدوة لأن عملية الإنكار لاتؤتى ثمارها إلا إذا كان الناهى قدوة وقد تكون الأفعال أكثر أثرا من الأقوال فى كثير من الحالات[1].

يقول الحسن البصرى: «إذا كنت ممن ينهى عن المنكر، فكن من أنكر الناس له، وإلا هلكت»[2].

ويقول العلماء: إن قدرة الداعية على تربية نفسه هى التى تؤهله على تربية الآخرين.. وإن قدرته على الإنكار على نفسه.. هى التى تزيد من قدرته على الإنكار على الآخرين..

ويقول الجيلانى: «إذا كنت منكرا على نفسك قدرت على الإنكار على غيرك»[3].

يروى أن رجلا جاء عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال:

يابن عباس: إنى أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر.

قال: أبلغت ذلك؟

قال: أرجو.

---

(١) راجع: عبدالحميد البلالى ـ فقه الدعوة فى إنكار المنكر (ص٥٠).

(٢) انظر: أحمد بن حنبل ـ كتاب الزهد (ص٢٦٠).

(٣) راجع الجيلانى ـ الفتح الربانى (ص٤٣).

قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله. فافعل.

قال: وماهن؟

قال: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾

قال: أحكمت هذه؟ قال: لا

قال: فالحرف الثانى؟ قال: قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾

قال: أحكمت هذه؟ قال: لا. فالحرف الثالث؟

قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ﴾[١] أحكمت هذه؟ قال: لا. قال: فابدأ بنفسك[٢].

٧- الحلم

الحلم صفة جميلة، وخلة نبيلة. مفهومها: ضبط النفس عند هيجان الغضب[٣].

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ لاتصافه بصفة الحلم فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[٤].

كما أثنى النبى ﷺ على بعض أصحابه بذلك فقال لأشج عبدالقيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله عز وجل: الحلم والأناة»[٥].

والناهى عن المنكر هو أحوج ما يكون إلى التحلى بفضيلة الحلم لأنه سيواجه من الناس ما يثيره كثيرا.. فإن كان غضوبا لايحلم.. فالغالب أن الناس لايقبلون نهيه.

---

(١) سورة هود الآية رقم (٨٨).

(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن الكريم (جـ١ ص٨٦).

(٣) انظر: الماوردى ـ أدب الدنيا والدين (ص٢١٥).

(٤) سورة التوبة الآية رقم (١١٤).

(٥) رواه مسلم فى صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الأمر بالإيمان ـ حديث رقم (٢٦).

لأن الناس يقبلون على من هو أقدر على كظم غيظه، وأكثر صفحا عمن أساء.

فالناهى عن المنكر لابد أن يكون متصفا بصفة الحلم والصفح والمسامحة. قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

والغيظ انفعال بشرى تصاحبه أو تلاحقه فورة فى الدم.

فهو إحدى دفعات التكوين البشرى، واحدى ضروراته.. وما يغلبه الإنسان إلا بتلك الشفافية اللطيفة المنبعثة من إشراق التقوى، وإلا بتلك الروحية المنبثقة من التطلع إلى أفق أعلى، وأوسع. من آفاق الذات والضرورات[2].

قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء»[3].

وورد عن ابن عمر رضى الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله»[4].

فأنت ترى أن الحليم ضرورة أن يكون بعيدا عن الغيظ، والغضب وكل ما يؤدى إلى إثارته.. وإذا أثير كان الحلم إليه أقرب.. لأن الإنسان لايتمكن من معالجة كثير من الأمور إلا بالحلم والهدوء.

والرسول صلوات الله وسلامه عليه يحكى عن نبى من الأنبياء آذاه قومه وكان يقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون»[5].

إن حلمه كما ترى منعه أن يدعو عليهم أو يشتمهم.

والناهون عن المنكر يكونون فى منتهى الحلم لحرصهم على سلامة المجتمع وأمنه.. وحرصهم على الإنسانية.

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١٣٤).

(٢) سيد قطب - فى ظلال القرآن (جـ١ ص٤٧٥) بتصرف واختصار.

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٧٧٧)، والترمذى رقم (٢٠٩٠)، وابن ماجة رقم (٢٠٩٠)، وأحمد فى المسند (جـ٣ ص٤٤٠).

(٤) رواه ابن ماجه - كتاب الزهد - باب الحلم (حـ٢ ص١٤٠١) حديث رقم (٤١٨٩).

(٥) رواه البخارى - حديث رقم (٣٤٧٧)، وابن ماجة حديث رقم (٤٠٢٥).

٨- صفات أخرى

ولاشك أن هناك صفات أخرى - غير ماذكرنا - لابد وأن يتحلى بها الناهى عن المنكر من التقوى، والتواضع، والورع، والوفاء، ومحبة الناس، وسلامة الصدر، والحرص على المجتمع، وما جرى مجرى هذه الصفات والفضائل التى تجعل الإنسان فى أهله، وقومه، وقريته، وبيئته، ومجتمعه، وأمته، وقورا، محترما.

ولايخفى أن الصفات النبيلة تؤهل الإنسان للعطاء، والمسلم المغير للمنكرات لابد أن يعطى. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1].

وعطاء المغير للمنكر - لاشك - أنه مساهمة منه فى استرداد شخصية المسلم.

ومن المؤكد.. أن المبادئ الإسلامية بمفاهيمها الأساسية، ومناهجها التربوية تصنع شخصية متميزة لها سماتها الخاصة، ولعل معاول المنكر التى أصابت أفرادًا فى بعض مجتمعات الأمة لم تؤثر إلا من جراء انهدام الشخصية.

وأكثر ما تتعرض له مجتمعات الأمة هو سعى الأعداء إلى هدم شخصية أفراد المجتمعات.

ولذلك تبدو جهود المغيّرين للمنكر محاولة تأصيلية لإبعاد الأمة عن المنكر والفساد.

والمحاولات التأصيلية لايقوم بها إلا أولئك الذين أهلتهم الفضائل الخلقية، والعلمية، والسلوكية ليؤدوا دورهم فى الأخذ بيد المجتمع إلى الطريق القويم.

وهؤلاء الذين تتوافر فيهم الصفات الفاضلة، يسعون دائما إلى نشر الطمأنينة فى المجتمع.

---

(١) سورة الليل الآيات رقم (٥ - ٧).

ولذلك ينهون عن المنكر فى صدق وإخلاص، لأن النهى عن المنكر هو الذى يوفر السلامة للمجتمع.

ولاشك أن الذين أهلتهم الفضائل للقيام بتغيير المنكر يعملون لتحقيق الوضع المتمكن للأمة الإسلامية المسلمة.

وإذا كانت هذه الفضائل تؤهل من اتصف بها لأن يكون مسئولا عن مجتمعه فإن هذه المسئولية لايستحقها إلا الأكياس.

والأكياس هم حكماء الأمة الذين يعملون على بصيرة ورؤية واضحة.

* * *

خاتمة

قد يكون معلوما لدى كثير من أهل الوعى الثقافى والعلم، أن أعظم الرحلات فائدة، تلك الرحلات العلمية والثقافية التى يقضيها الإنسان بين الكتب متنقلا من صفحات كتاب إلى صفحات كتاب آخر. . وهكذا.

وإذا كان هذا من أعظم الرحلات فائدة. . فإن من أكثرها فائدة ومتعة حين يحدد الإنسان موضوع بحثه الذى يريد الكتابة فيه، أو الاستزادة فى القراءة، فإنه يجد نفسه بين زخائر بذل فيها مصنفوها جهودا واسعة من تحصيل العلم النافع، فكانت هذه الزخائر والموسوعات التى وصلت إلينا، وأصبحت تراثا أصيلا.

وقد تصادفك - وأنت تبحث فى موضوعك - كتبا ومصنفات تظن حينما تمسك بها أنك وضعت يدك على ما يمدك بالسديد من الأقوال، والصواب من الأحكام. . خاصة أن ما فيها من آثار تروى تنسب إلى عصور أولى لها عند الناس مكانة.

فإذا قلبت الصفحات لتقرأ شممت رائحة العنف، والتشدد، والغلو. . وقد تسرح - وأنت تقرأ - فى مسرح أحداث النهى عن المنكر. . فترى غلظة، ودماء تسيل، وفتنا لاتعرف كيف تنتهى.

وهذا وغيره يصور لك أن مجتمعات المسلمين تئن وتتوجع من المنكرات التى أحاطت بها من كل جانب. . وأن خير العصور هى العصور الأولى.

وقد يورد هؤلاء من الآثار والنصوص ما يجعلك تنسى أنه بقى هناك مسلمون. . إلا أنه تدركك - رحمة الله - فتتذكر أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه. قال - كما فى صحيح البخارى ومسلم -: «لايزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى يأتى أمر الله» وفى رواية «حتى تقوم الساعة».

ومن العجيب والغريب أنه يوجد بين من ينتسبون إلى الإسلام من يردد هذه المقولات، ويستدل بها على أنها أدلة قطعية الدلالة.

وقد تكون هذه الآثار قيلت فى ظروف زمانية ومكانية خاصة لاصلة لها بواقع الحياة الذى يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ.

ومن العجيب والمحزن . . أن هؤلاء الذين يرددون مقولات وآثارا لا صلة لها بحياة المجتمع الراقى، تجدهم يتباكون على ضياع الأمة، لا لأن ضغوطا واقعة عليها، ولا لتأخرها عن ركب الحضارة والتقدم العلمى، ولا لأنها تمزقت إلى الإقليمية والمذهبية، ولا لضياعها على مائدة اللئام.

وإنما لأن المنكرات والبدع . . طغت . .

وإذا بحثت عن المنكرات عند هؤلاء. وجدت أنها خروج المسلم عن أشكال ورسوم ابتدعوها.

فإن لم يكن المسلم متشكلا بها، ومرسوما عليها. كان ذلك منكرا.

وبدا لى ـ بعد تفكير طويل ـ أن كثيرا من شباب الأمة، وقع فريسة لهذه الأقوال التى تدفع إلى الغلو، والانحراف عن المنهج الإسلامى السليم الذى يدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد قراءة طويلة، ووقفات بعيدة. بدا لى: أن تحديد المفاهيم، ومعرفة المنكر المتفق عليه، خطوة أولى فى عملية تغييرالمنكر.

وعملية تغيير المنكر، والسعى إلى إبعاده. يحسن ـ إذا توافرت النيات الصادقة ـ أن يخصص لها المتخصصون على حد مقولة: الرجل المناسب فى المكان المناسب.

وأهمية تغييرالمنكر فى مجتمعات الأمة الإسلامية، تعود إلى حرص الإسلام على سمعة وسلامة المجتمعات، لأن المجتمعات الإسلامية فى سلوكها عنوان الدعوة إلى الإسلام.

ومما لايحتاج إلى تأكيد. . أن عالمية الإسلام واستمراريته تلزم مجتمعات الأمة أن تكون قدوة لغيرها فى السلوك، والتمسك بالقيم الرفيعة، والفضائل النبيلة. .

وإذا أنعم أهل التفكير نظرهم، ووقفوا يتأملون فى الأساليب والوسائل، والدرجات، والمراتب التى بيّنها الرسول ﷺ فى تغيير المنكر، وجعلها فى اليد أو

اللسان أو القلب، يجد أن هذه الأساليب اشتملت على كل ما هو متاح وفى مكنة الإنسان والمجتمع والأمة.

فلم يستثن من عملية الإنكار والتغيير أحد، لأن كل إنسان يملك قلبا.

فإذا كانت عملية التغيير تقتضى قوة وقانونا وقرارا وسلطة تنفيذية، فالمسألة عند أهل الاختصاص ممن يقدرون على قطع المنكرات بالزجر والعقاب عليها.

ولايخفى أن دور العلماء فى النهى عن المنكر وجه من أوجه الإصلاح، لأن الناس يميلون إلى الطاعة إذا اقتنعوا، وبين لهم العلماء شر المخالفة.

وقد يدرك المفكرون: أن عمل العلماء يكاد يكون أساسا بالنسبة لغالبية الناس فى المجتمع.

ويمكن أن يقال أن عمل العلماء لكل الناس، لأن الناس يحتاجون فى كل الحالات إلى الاقتناع.

وإقناع الناس شأن العلماء النابهين، الذين منحهم الله الحكمة والقدرة على إتيان النفوس من أبوابها.

أما القلب الذى لايخلو منه إنسان فإن عطاءه فى تغيير المنكر عطاء متجدد، ومساهمته مستمرة، لأنه أساس أصيل فى كل ما يأخذ إلى الارتقاء.

ومن عجيب أمر هذه الوسائل «اليد، واللسان، والقلب» أنها قُيدت بالاستطاعة والقدرة، ليتوفر فى المجتمع الساعى إلى التغيير: التكافل الخلقى والعلمى والتغييرى، الذى يجعل المجتمع كله مترابطا خلف قيادته، متجها بقيادته إلى الإصلاح.

وإن أمة تنحو مجتمعاتها هذا النحو.. لابد ضرورة لهذه المقدمات أن تخطو خطوات واسعة إلى الإمام، تساعد على استثمار رصيدها الضخم فى تنمية فلسفتها الخاصة بها.

والوسائل غير المباشرة فى تغيير المنكر قد تكون أكثر فاعلية، لأنها تصل إلى الناس فى مواقعهم دون عناء.

فالكتب والرسائل والمؤلفات، والإذاعة والتليفزيون، والقنوات الفضائية،

ومايجد فى مستقبل الزمان . . كلها وسائل ضرورية وفاعلة فى تغيير المنكر، وبناء الإنسان . . وذلك رهين بحسن استخدام هذه الوسائل.

فإذا أُحيط منكر ـ اتفق العلماء على نكارته شرعا ـ بكل الأساليب المتاحة . . لم يعد المنكر منكرا.

وقد لانبعد كثيرا ـ إذا أدركنا ـ أن هناك فى مجتمعات الأمة أمية متفشية . . فإذا تمكن الناس من مواجهة الأمية استطاعوا أن يقللوا من المنكر.

ولاتنسى أن عامل الثقافة الحية، يساعد الناس على إدراك أبعاد خطر المنكرات، وعواقبها.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن الجوزى: جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى (زاد المسير) ط المكتب الإسلامى - بيروت.

- ابن الجوزى: جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى (سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز) ط دار الكتب العلمية - بيروت.

- ابن الجوزى: جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى (تاريخ عمر بن الخطاب) ط بيروت.

- ابن العربى: أبو بكر بن العربى (أحكام القرآن). ط دار المعرفة - بيروت.

- ابن النحاس: محمد بن النحاس (تنبيه الغافلين) ط بيروت.

- ابن تيمية: تقى الدين أبو العباس شهاب الدين عبدالحليم (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ط دار المكتبة القيمة - مصر.

- ابن تيمية: تقى الدين أبو العباس شهاب الدين عبدالحليم (مجموع فتاوى شيخ الإسلام) ط الرياض.

- ابن تيمية: تقى الدين أبو العباس شهاب الدين عبدالحليم (الحسبة فى الإسلام) ط دار الكتاب العربى.

- ابن تيمية: تقى الدين أبو العباس شهاب الدين عبدالحليم (الفتاوى الكبرى) ط دار المعرفة - بيروت.

- ابن حجر: أحمد بن على بن حجر (فتح البارى شرح صحيح البخارى) ط الريان - القاهرة.

- ابن حنبل: أحمد بن حنبل (كتاب الزهد) ط دار الكتب العلمية - بيروت.

- ابن عطية: عبدالحق بن غالب بن عطية (المحرر الوجير) ط المغرب وط قطر.

- ابن عبدالسلام: العز بن عبدالسلام (قواعد الأحكام فى مصالح الأنام) ط دار الجيل - بيروت.

- ابن القيم: محمد بن أبى بكر الدمشقى (مفتاح دارالسعادة) ط دار الكتب العلمية - بيروت.

ـ ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى بكر (إعلام الموقعين عن رب العالمين) ط دار الجيل ـ بيروت.
ـ ابن قدامة: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة (مختصر منهاج القاصدين) ط دار المعرفة ـ بيروت.
ـ ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن كثير (تفسيرالقرآن العظيم) ط. دار المعارف ـ بيروت.
ـ ابن كثير: (البداية والنهاية) ط مكتبة المعارف ـ بيروت.
ـ ابن مفلح: شمس الدين محمد بن مفلح المقدسى (الآداب الشرعية) ط مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.
ـ ابن منظور: ابن منظور الافريقى (لسان العرب) ط دار المعارف ـ مصر.
ـ أبو يعلى: الفراء بن محمد بن الحسين أبو يعلى (الأحكام السلطانية) ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.
ـ أبو يعلى: القاضى محمد بن أبى يعلى (طبقات الحنابلة) ط دار المعرفة ـ بيروت.
ـ الأسنوى: جمال الدين الأسنوى شرح (الأسنوى على منهاج الوصول فى علم الأصول) ط القاهرة.
ـ البخارى: محمد بن إسماعيل البخارى (الصحيح) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلاميةوغيره.
ـ البلالى: عبدالحميد البلالى (فقه الدعوة فى إنكار المنكر) ط دار الدعوة ـ الكويت ١٤٠٧هـ.
ـ التبريزى: محمد بن عبدالله التبريزى (مشكاة المصابيح) ط دار المعرفة ـ بيروت.
ـ الترمذى: محمد بن عيسى (السنن) ط الحلبى ـ مصر ١٣٨٢هـ.
ـ الجصاص: أحمد بن على الجصاص (أحكام القرآن) ط دار إحياء التراث العربى ـ بيروت.
ـ حبنكة: الشيخ عبدالرحمن حبنكة وأخرين (الثقافة الإسلامية) ط جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة.

ـ زيدان: الدكتور عبدالكريم زيدان (أصول الدعوة) ط مكتبة المنار ـ الرياض.
ـ الدوسري: عبدالرحمن الدوسري (صفوة الآثار والمفاهيم) ط دار اللواء ـ الرياض.
ـ رضا: الشيخ محمد رشيد رضا (تفسير المنار) ط كتاب الشعب. القاهرة.
ـ الرازي: فخر الدين محمد بن عمر الرازي التفسير الكبير ط دار الفكر العربي ـ بيروت.
ـ زقزوق: الدكتور محمود حمدي زقزوق (دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي) ط مكتبة وهبة ـ القاهرة.
ـ السايح: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح (في الغزو الفكري) سلسلة كتاب الأمة ـ قطر ١٤١٤هـ.
ـ السايح: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح (هذا هو الإسلام) ط دار الثقافة بالدوحة ـ قطر.
ـ السبت: خالد بن عثمان السبت (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه) ط المنتدى الإسلامي ـ لندن ١٤١٥هـ.
ـ سعد: الدكتور محمود توفيق محمد سعد (فقه تغيير المنكر) سلسلة كتاب الأمة. قطر ١٩٩٤هـ.
ـ السفاريني: محمد بن أحمد السفاريني (لوامع الأنوار البهية) ط المكتب الإسلامي ـ بيروت.
ـ السفاريني: محمد بن أحمد السفاريني (غذاء الألباب) ط الكويت ١٣٩٣هـ.
ـ شلتوت: الإمام محمود شلتوت (الإسلام عقيدة وشريعة) ط الأزهر ١٣٨٤هـ.
ـ الشنقيطي: محمد الأمين الشنقيطي (أضواء البيان) ط عالم الكتب ـ بيروت.
ـ الشيشاني: الدكتور عبدالوهاب الشيشاني (حقوق الإنسان الإسلامية) ط بيروت.
ـ الشيرازي: عبدالرحمن الشيرازي (نهاية الرتبة في الحسبة) ط دار الثقافة ـ بيروت ١٣٦٥هـ.

- الصاغرجى: الشيخ أحمد محمد سعيد الصاغرجى (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ط دار القبلة جدة السعودية ١٤١٢هـ.
- الطبرى: محمد بن جرير الطبرى (الجامع لأحكام القرآن) ط الحلبى - مصر ١٣٨٨هـ.
- عمارة: الدكتور محمود محمد عمارة (من الذى يغير المنكر) ط دار المنار - القاهرة ١٤١٢هـ.
- عودة: عبدالقادر عودة (التشريع الجنائى الإسلامى) ط مؤسسة الرسالة - بيروت.
- الغضبان: منير محمد الغضبان (فقه السيرة النبوية) ط مركز البحوث جامعة أم القرى.
- الغزالى: أبو حامد الغزالى (إحياء علوم الدين) ط الحلبى - مصر.
- الغزالى: أبو حامد الغزالى (المستصفى) ط دار السعادة - القاهرة.
- غلوش: الدكتور أحمد غلوش (الدعوة الإسلامية) ط دار الكتاب اللبنانى - مصر.
- الفيروزابادى: مجد الدين محمد يعقوب الفيروزابادى (لطائف ذوى التمييز) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.
- القرضاوى: الدكتور يوسف القرضاوى. (مجلة الدوحة) عدد يناير ١٩٨٦. قطر.
- القشيرى: مسلم بن الحجاج القشيرى (الصحيح) ط المكتبة الإسلامية استانبول.
- قطب: الشيخ سيد قطب (فى ظلال القرآن) ط بيروت.
- القيروانى: عبدالله بن أبى زيد القيروانى (الجامع من السنن والآداب) ط مؤسسة الرسالة. بيروت.
- الماوردى: على بن محمد بن حسين الماوردى (آدب الدنيا والدين) ط دار الكتب العلمية - بيروت.

- محمود: الدكتور جمال الدين محمود (أصول المجتمع الإسلامى) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.
- المسعود: الدكتور عبدالعزيز أحمد مسعود (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ط دار الوطن - الرياض ١٤١٤هـ.
- الآمدى: سيف الدين الأمدى (الأحكام فى أصول الأحكام) ط بيروت.
- الألوسى: شهاب الدين السيد محمود الألوسى (روح المعانى) دار إحياء التراث - بيروت.
- النسائى: أحمد بن شعيب (السنن) ط المكتبة التجارية - القاهرة.
- النووى: محى الدين النووى (شرح صحيح مسلم) ط دار إحياء التراث - بيروت.
- هويدى: أ. فهمى هويدى (الدين والتغيير الاجتماعى كتاب الحضارة) طبع لندن.
- الهيتمى: شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى (قواطع الإسلام) تحقيق الدكتور أحمد السايح والدكتور سيد الجميلى والأستاذة بركة حمد سلمان - ط مركز الكتاب للنشر - القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع
٩٨/٢٣١٤

I.S.B.N.

977 - 294 - 057 - 4

